



# لِمَاتٍ

مِنْ السِّيَرِ النَّبُوَّيَّةِ وَالْأَدْبُرِ النَّبُوَّيِّ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا،  
وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ يَارْبِنِي وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

[[الأحزاب: ٤٥-٤٦]].

"إِنَّمَا مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا  
فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه  
الدوااب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل  
ينزعهن ويفغلبنه فيقتammen فيها فأنا آخذ  
بحجزكم عن النار وأنتم تفحمون فيها"  
(رواه البخاري).

# لِمَحَات

مِنَ السِّيَرَةِ النَّبُوَّيَّةِ وَالْأَدَبِ النَّبُوَّيِّ

محمد واضح رشيد الحسني الندوبي

كتاب الرشيد  
لتحف الملة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

م٢٠١٠ - ١٤٣١

اسم الكتاب :	لحات من السيرة النبوية والأدب النبوي
مؤلف الكتاب:	الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوبي
اعتنى به:	محمد وثيق الندوبي
الصفحات:	
النسخ:	١١٠
ثمن النسخة:	١١٠ روبيه هندية

يطلب من: .

- (١) المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكتاؤ.
- (٢) المكتبة الندوية، ندوة العلماء لكتاؤ
- (٣) مكتبة إحسان، مكارم نفر لكتاؤ
- (٤) مكتبة دارين، مكارم نفر لكتاؤ
- (٥) مكتبة الشباب الجديدة، مكارم نفر لكتاؤ

الناشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بَيْنَ يَدِي الْكِتَابِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه  
 خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ورحمة للعالمين، محمد النبي الأمي  
 الذي بعثه الله في الأميين، رسولاً يتلو عليهم آياته، ويزكيهم،  
 ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لففي ضلال مبين،  
 وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم  
 إلى يوم الدين، وبعد!

فهذه مقالات، كتبت في مناسبات مختلفة، نشر بعضها في  
 المجالات، وقدم بعضها في ندوات علمية، كانت لها صلة بالسيرة  
 العطرة، وبجوانب أخرى مضيئة من حياة الرسول صلى الله عليه  
 وسلم وأدبه، ومنهج تعليمه وتراثه، وما كتب عن السيرة العطرة  
 وجوانبها المختلفة، وتفنيد ما روجه أعداء الإسلام من أباطيل،  
 والمحاولات المتكررة المستحدثة للإساءة إلى ذات الرسول صلى الله  
 عليه وسلم، وتصاعدتها في العصر الراهن كرد فعل للإقبال على  
 الإسلام ومظاهر الفداء للرسول صلى الله عليه وسلم، وتوسيع العلاقة  
 به في المسلمين رغم تطور الزمان، وقد تضافرت جهود إزاحة الأوهام  
 والخرافات التي تبئها أقلام حملة القلم في أوروبا، ورجال الفن،  
 وصانعوا الأفلام، وتكرر هذه المحاولات التي دافعها الخبث،

والجهل، والخذل، ومركب النقص في هذا العصر الذي يعتبر عصر اللقاء والتفاهم والاحترام المتبادل .

صدرت في هذا العصر لمواجهة هذه الموجة العارمة للهجوم على الإسلام، وذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، كتب في السيرة ، والتاريخ الإسلامي ، ورد شبهات المستشرقين ، وتفنيد افتراءاتهم ، وليست هذه المقالات إضافة علمية إلى هذه الكتابات القيمة ، وإنما هي بمثابة التعبير عن الشوق ، والرغبة في الإسهام في محاولة عرض الجوانب اللافتة في سيرة الرسول الكريم ، التي ظهرت فيها الرحمة ، والعفو ، والكرم ، والتربية ، والتعليم ، وملامح الأسوة الحسنة ، و الدلالة إلى طرق الاقتباس من مشكاة نبوته ، وأسونته الحسنة ، وعرضها على القارئ العام ، تعبيراً عن الحب ، والوفاء للرسول صلى الله عليه وسلم .

وأضافت إلى هذه المقالات نبذ العيون المتعلقة بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتبسة من كتاب "تهذيب السيرة النبوية" للإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي المتوفى ٦٧٦هـ ، كما اقتبست يوميات السيرة النبوية وثلاثة جداول تتعلق بأعيان العرب ، ودعاة الصحابة ، وأشبال الصحابة رضي الله عنهم ، من كتاب "سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم" إعداد: محمد الحبش .

كانت هذه المقالات منتشرة في بطون المجالات ، وبعضها غير مطبوعة ، فجمعها ورتبتها واعتنى بها الأخ العزيز محمد وثيق الندوبي أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء ، ووضع الفهارس لها ، وأضاف قائمة الكتب المؤلفة في السيرة لتعيم الفائدة ، واهتم بطبعها ونشرها ابن العزيز محمد جعفر مسعود الحسني الندوبي صاحب دار الرشيد ، فأشكرهما

على هذا الاهتمام والعناية بهذا المجهود المتواضع، وأدعوا الله أن يتقبل منا جميعاً.

ولا يفوتنـي أن أـشـكرـ شـقيقـيـ الأـكـبـرـ العـلـامـةـ الشـيـخـ مـحـمـدـ الرابعـ الحـسـنـيـ النـدوـيـ الرـئـيـسـ العـامـ لـنـدوـةـ الـعـلـمـاءـ بـلـكـنـاؤـ وـرـئـيـسـ رـابـطـةـ الـأـدـبـ الـإـسـلـامـيـ الـعـالـمـيـ لـشـبـهـ الـقـارـةـ وـمـاـ يـجـاـوـرـهـ . حـفـظـهـ اللـهـ وـرـعـاهـ . عـلـىـ كـلـمـةـ تـقـدـيـهـ التـيـ رـفـعـتـ شـأـنـ هـذـهـ مـقـالـاتـ الفـجـةـ ، وـهـيـ فـيـ ذـاتـهاـ بـحـثـ عـلـمـيـ قـيمـ فـيـ مـوـضـوـعـ السـيـرـةـ ، وـقـدـ سـبـقـ أـنـ صـدـرـ لـهـ مـؤـلـفـ قـيمـ فـيـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ ، عـلـىـ صـاحـبـهاـ أـلـفـ أـلـفـ تـحـيـةـ وـسـلـامـ ، وـنـالـ كـتـابـهـ الـقـبـولـ الـعـامـ ، وـنـقـلـ إـلـىـ لـغـاتـ مـخـلـفـةـ ، وـإـنـ السـيـرـةـ وـالـبـيـئةـ التـيـ نـشـأـ فـيـهـ الرـسـوـلـ الـكـرـيمـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـالـزـمـانـ وـالـمـكـانـ الـذـيـ اـسـتـنـارـ بـرـسـالـتـهـ وـسـيـرـتـهـ ، وـالـمـخـاطـبـيـنـ الـأـوـلـيـنـ لـهـ ، مـنـ الـمـوـضـوـعـاتـ التـيـ تـعـتـيـرـ مـنـ اـخـتـصـاصـ الشـيـخـ مـحـمـدـ الرـابـعـ الحـسـنـيـ النـدوـيـ ، فـأـشـكـرـهـ عـلـىـ تـشـجـيعـ هـذـاـ الـعـلـمـ الـمـتـواـضـعـ ، وـتـزـينـهـ بـكـلـمـتـهـ الـقـيـمةـ.

وـأـسـأـلـ اللـهـ الـعـظـيمـ أـنـ يـهـبـنـاـ جـمـيـعـاـ حـبـ الرـسـوـلـ ﷺـ الـحـقـيقـيـ ، وـأـنـ نـكـونـ مـصـدـاقـاـ لـمـاـ جـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ : "لـاـ يـؤـمـنـ أـحـدـكـمـ حـتـىـ أـكـوـنـ أـحـبـ إـلـيـهـ مـنـ مـالـهـ وـوـلـدـهـ وـنـاسـ أـجـمـعـيـنـ" وـصـدـقـ شـاعـرـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ :

فـإـنـ أـبـيـ وـوـالـدـهـ وـعـرـضـيـ  
لـعـرـضـ مـحـمـدـ مـنـكـمـ وـقـاءـ

وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ رـسـوـلـهـ الـكـرـيمـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـيـنـ .

مـحـمـدـ وـاضـحـ رـشـيدـ الحـسـنـيـ النـدوـيـ

ـ١٤٣١ـ /ـ١٠ـ /ـ١٧ـ

ـ٢٠١٠ـ /ـ٠١ـ /ـ٢٧ـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الكتاب

بِقَلْمِ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الرَّابِعِ الْعَسْنِيِ النَّدوِيِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد المرسلين ، خاتم النبيين ، محمد بن عبد الله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد !

فقد بعث الله تعالى خاتم رسليه محمد بن عبد الله الأمين صلى الله عليه وسلم ، وميزه بميزتين عظيمتين ؛ أولهما أنه أكمل عليه دينه ، وأتم عليه نعمته ، بقوله : «أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة : ٣] فأكمل الله تعالى الدين الذي اختاره لعباده المؤمنين ، وكانت شريعته تنتقل مننبي إلى نبي آخر من بعد النبي الأول آدم عليه السلام ، ببعض التغيرات التي يجعلها الله تعالى حسب أحوال الأمم التي كان الأنبياء يبعثون إليها ، فصارت هذه الشريعة على رسول الله محمد بن عبد الله الأمين تامة وكاملة ، فلم يعد يأتي إليها تغيير أو تطوير ، إلى يوم القيمة ، وهي من أهم ميزتين

حصلتا لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما الميزة الثانية فهي أن الله تعالى جعل هديه وسيرة حياته - صلى الله عليه وسلم - بمختلف جوانبها الإنسانية والدينية أسوة حسنة كاملة وخالدة لكافة المؤمنين ، يسيرون على خطها ويتبعونها في أحوال حياتهم ، ولما جعل الله تعالى هذه السيرة الكريمة العطرة أسوة حسنة إلى يوم القيمة ، أشرف على بنائها إشرافاً خفياً قبل بدء نزول وحيه عليه ، و مباشرأً بعد بدء نزول الوحي إليه وحيماً مقوراً وغير مقوراً ، فقد رعاها وأشرف عليها بتوجيهاته القدسية التي نجد أمثلة منها في القرآن الكريم وفي الوحي الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف أحاديثه .

ومن أمثلة ذلك ما وقع عندما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الالتفات إلى أحد سادة قريش من الكفار يدعوه إلى الإسلام ، وأفضى بذلك إلى قلة من الالتفاتات إلى مؤمن جاء إليه يسأل عن بعض الأمور الدينية ، فلفت الله نظره إلى أن المؤمن أحق بالالتفات إليه ، وإن كانت مصلحة الدعوة تقتضي عدم الالتفات إليه ولو لمدة يسيرة ، فقد جاء في سورة عبس **(عَبْسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعْلَهُ يَرَكُّى، أَوْ يَذَكَّرُ فَتَتَفَعَّهُ الذَّكْرَى، أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى، فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى، وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرَكُّى، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى، كَلَّا إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ)** [عبس : ١١-١] . وكذلك عندما قرر أخذ الفدية من الأسرى الكفار بعد انتصاره في غزوة بدر ، وهكذا وجدنا مناسبات عديدة جاء فيها أمر الله تعالى

إليه صلى الله عليه وسلم بتغيير رأيه، وبذلك حصلت للنبي الكريم الأعظم تربية واضحة ومستمرة من الله تعالى.

ونحن حينما نستعرض أحوال سيرته الكريمة العطرة من صغره إلى أن بلغ إلى أشده، ومن بدء الوحي الإلهي بالتزول إليه، إلى هجرته إلى المدينة المنورة، ثم إلى وفاته نجد أن التربية الإلهية رافقته في كل حين وأن، فإن وفاة والده الكريم قبل ميلاده، وكذلك وفاة والدته وهو لم يجاوز طفولته، لم تكن أمراً بسيطاً أو أمراً فجائياً، بل كانت من عند الله تعالى لتكون كجزء من تربية الله تعالى له، ليتربي قلبه صلى الله عليه وسلم على صبر عظيم، وقد جاء في المثل "الشدائد تصنع الرجال" فكان الشعور بالحرمان الأبوي ثم الفاجعة الآتية من وفاة والدته الكريمة سبباً لتربيته على أعلى درجات الصبر، لاحتمال الشدائد، ثم أن عمه العظيم أبو طالب الذي كان قد حمل مسؤولية كفالته بعد وفاة جده عاجلاً كان قليل البضاعة في الأسباب المادية، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر من خلال هذا العسر مع كونه في الدرجة الثانية بعد درجة أبناء عمه حتى بدا له بعد حصوله على بعض وسائل الكسب التزيه أن يعاون عمه بتحمله لشؤون الاقتصاد، فاقتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه عباس بن عبد المطلب أن يتکفل هو وعمه عباس الذي كان في خفض في العيش ولذين من أولاد أبي طالب، واختار هو منهم علياً بن أبي طالب، فلو لم يكن أبو طالب قليل البضاعة في المال

لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا التعاون لما بلغ هو إلى العمر الذي استطاع فيه تكفل نفسه - بقيامه بأعمال تأتي إليه بأسباب الرزق - وذلك بأن يقدم تيسيراً لأبي طالب في حالته المادية، ثم إن زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة الوقورة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - لم يكن أمراً بسيطاً، فقد كانت تكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة سنة منه، وجاءت الخطبة من ناحية خديجة التي كانت تأبى قبول زوج لها من أشراف أسرته الآخرين، وأما قبول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الخطبة رغم وجود سيدات قريشيات عديدة تقارب أعمارهن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان ذلك تقديرًا من الله تعالى لتكون هذه الزوجة الكريمة عند تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبء النبوة عضداً قوياً له في الشدائ드 التي واجهها في عمله الدعوي النبوى الكريم .

فهذه الأمور كلها كانت في حقيقة أمرها وسائل ناجعة ل التربية الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة خفية من الله تعالى ليقوى لاحتمال أعباء النبوة الجليلة، ويكون أسوة حسنة للمؤمن إلى يوم القيمة، ولما بدأ نزول الوحي الإلهي فكانت التربية الإلهية ظاهرة وواضحة في مناسباتها العملية، وساعد في ذلك كون الرسول صلى الله عليه وسلم أمياً لم يتلقى تعليماً سائداً في زمانه فحل التعليم الإلهي محل ذلك وملأ فراغ ذهنه وعقليته، فكان مصداقاً لقول الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف      فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقد كان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كغيره من أفراد أسرته وقومه فكانت التربية التلقائية من الله تعالى له بالمناسبات المذكورة عوضاً عن التعليم الرسمي، ويمكن أن يضاف إلى ذلك كون النبي صلى الله عليه وسلم يتيمًا لم يتلق تربية من والده كذلك، وتوفيت والدته وهو طفل، لم يتلقى منها شيئاً كبيراً وإنما تلقى شيئاً بسيطاً من والدته في سن الصغيرة وحدها، فكان ركن التعليم والتربية في حياته الكريمة لم يملأه إلا التوجيهات الإلهية، وبذلك أصبح من اختصاص سيرته أنها صيفت بالتربية الإلهية وحدها، فأصبحت حياته الكريمة بذلك حياة إيمانية خالصة وإنسانية كاملة، فكيف لا تكون أسوة حسنة لأهل الإيمان الحاملين للخصائص الإنسانية الطيبة الحسنة.

وبناءً على ذلك لم نعد نأخذ أوامره الدينية، ونتبعها فقط، بل يجب أن ننظر إلى الخصائص السلوكية والآداب الخلقية ونتبعها إلى الحد الذي يسعنا، لتصبح حياتنا سائرة على منهاج السيرة النبوية الكريمة، وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» [الأحزاب: ٢١].

وبناءً على الميزتين المذكورتين لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت نبوته منارة عالمية للهداية في سعتها، وخلالدة في زمانها، نأخذ منها الأوامر الإلهية التي جاءت إلينا عن طريق

الوحي من الله تعالى، وتبع هديه الكريم في الجوانب الإنسانية في سيرته الكريمة العطرة، ليكون طريقنا في الحياة صراطًا مستقيماً كما جاء في صورة الدعاء في سورة الفاتحة في آيتها (إِهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) ولكون الدين الإسلامي ديناً عالياً وحالداً في الزمان والمكان كان لابد أن يكون محفوظاً ومصوناً ليكون حارساً لهذا الدين، وعلى الصورة التي أكمل عليها وتقررت أوامره، ولقد جعل الله تعالى لذلك مصدرين وهما الكتاب والسنة.

أما الكتاب فهو الكتاب الإلهي القرآن الكريم، الذي جاء من الله تعالى مصدقاً لما جاءت من الرسالات الإلهية السابقة، ومضيفاً إليها لإكمال ما تقتضي الأزمان الجديدة حتى يكون نبراساً وحده، وجاماً وكمالاً للدين الإسلامي، وإننا نرى مئات الآلوف من المؤمنين به يحفظونه حفظاً عن ظهر القلب ولا يتزكون احتمالاً لأي تغيير فيه حتى الحروف منه.

وأما المصدر الثاني وهي السنة النبوية الكريمة الشريفة التي تحصل لنا من الأسوة النبوية الكريمة الشريفة التي أمرنا الله تعالى باتباعها، فقد دونها وحفظها علماء الدين الإسلامي مأخذة من الصحابة البررة الذين آمنوا بالله وبرسوله وكتابه ودونها علماء الدين الإسلامي في كتب معينة في هذا الموضوع وعذوا عملهم هذا خدمة للدين الإسلامي، وأداءً للحقوق التي كان يجب عليهم أداؤها لوفائهم لدينهم الإسلامي، وصدرت كتب مفصلة

ومختصرة، ومتخصصة لجوانب من الحياة النبوية الكريمة، وغير متخصصة فيها، لتكون مرجعًا للاستفادة والاستنارة، واتباع ما يفتقرون إليه لامثالها، ولذلك حصلت خزانة عظيمة لأحوال السيرة النبوية وأعمالها في مختلف جوانب حياته الدينية والإنسانية والخلقية والسلوكية حتى المناسبات النظرية والنفسية، ولذلك وجب على المسلمين وغيرهم كذلك أن يروا في مرآة حياته الكريمة وشمائله وأحواله السلوكية والخصائص الفردية والاجتماعية، ومنهج أعماله الدينية التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي من الله رب العالمين.

فأصبحت بذلك حياته الكريمة وسيرته الكريمة أسوة واجبة الاتباع والتأنسي بها للمؤمنين جميعاً، ويرجع المسلمون إليها للتأنسي والاقتباس، وعرض أصحاب العلم والتأليف هذه السيرة النبوية الكريمة للقارئين بطرق مختلفة حسب الغرض، وتحقيق الرغبة الدينية في العصور الماضية المختلفة بكل أمانة علمية وبعاطفة دينية، وصدرت في العهد الحديث أيضاً كتب مختلفة في هذا المجال.

فقام أخونا الفاضل الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوبي رئيس الشئون التعليمية لندوة العلماء بذلك، وقام باستعراض الكتب الجديدة واقتبس منها معلومات مهمة للسيرة النبوية، وأضاف إليها معلومات أخرى أخذها من أهميات الكتب المؤلفة في السيرة النبوية، وجمعها في كتاب مختصر جامع أصبح باقة جميلة لأزهار السيرة النبوية ورياحينها مع نقاط مهمة مما رأها

مهمة للاتباع والامثال، وطلبًا لتحسين الحياة الإيمانية وترويج الفكرة الواضحة للحياة المثالية لكل من يؤمن بالله وشرعيته الحقة التي توجد بعد كتاب الله المجيد في الأسوة النبوية الكريمة، ولقد استعرضتُ هذا الكتاب المقيد المختصر فوجدته نافعاً وليغاً في المحتوى والشكل كذلك.

والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوبي كان حرياً بأن يقوم بهذا العمل الجليل، لأنه واسع الاطلاع في هذا الموضوع، وفي معرفته لأحوال الشخصيات الكبيرة والأعمال المهمة التي قدمتها هذه الشخصيات، كما أنه يحمل في قلبه عاطفة دينية طيبة ومحبة كبيرة للرسول العظيم محمد بن عبد الله الأمين خاتم أنبياء الله رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه، وبناء على فهمه لخصائص الشخصيات الإنسانية يستطيع أن يدرك الخصائص الإنسانية والنفسية الفاضلة في شخصية الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم إدراكاً مفيداً، فقيامه بعرض بعض جوانب شخصية الرسول العظيمة هو عمل جاء في أوانه، لأن أعداء الإسلام والمسلمين من الطبقة المتعلمة في الغرب قد شنوا حرباً على الإسلام من خلال مكرهم ودهائهم في الإساءة إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم الذي حياته الكريمة قدوة عامة للصالحين من بني آدم.

وأما هذا الكتاب المختصر الجامع القيم الذي بين يديك فإنه يشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول يشتمل على نبذ من العيون المتعلقة بسيرة

الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، مقتسبة من كتاب "تهذيب السيرة النبوية" للإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، وهو إمام محقق، ذو باع واسع في خدمة السنة النبوية والعنابة بها، وذلك بشهادة العلماء له بذلك مما جعل أقواله وتصويباته وترجيحاته محل عنابة واعتبار عند العلماء، وهذا القسم تحفة نفيسة من ذخائر السلف جادت بها يراع الإمام يحيى بن شرف النووي، حيث كتب ترجمة موجزة جامعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمعت بين الإيجاز والشمول لشمائله وسيرته حيث انتخب من سيرته ما يعتبر بحق مدخلاً لدراسة السيرة النبوية، بحيث تكون للدارس وطالب العلم قاعدة معرفية يطلع من خلالها على مجمل حياته لينطلق منها إلى الإحاطة بأطراف هذا العلم، علم السيرة.

والقسم الثاني يعالج عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من مولده إلى بعثته، وأثره العظيم على الإنسانية، كما يستعرض جوانب الرحمة والعفو في السيرة النبوية، وقد المؤلف أسطورة انتشار الإسلام بالسيف كما يدعى الأعداء الحاقدون، وكتب بالأدلة الدامغة وبشهادات بعض المنصفين من الأعداء أن الإسلام لم ينتشر بالسيف وسفك الدماء كما تدعى القوى المعادية، بل انتشر بتعاليمه السامية والسمحة وبخلق الرسول العظيم، وأن الإسلام دين الرحمة والعطوفة والعدل والبر والإحسان، ويبيّن هذا القسم فضل البعثة الحمدية على الإنسانية والمأثر والمنفعة العالمية.

التي أسدتها الرسول العظيم إلى الإنسانية جموعاً، كما يبين أن المسلمين ليسوا أمة لا تقرأ كما يروج الأعداء، بل هم أمة تقرأ، و محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول العلم والهداي، وهو أنسوة كاملة خالدة للإنسانية، والعالم كله مدین للبعثة الحمدية في سائر مجالات الحياة من العلم وغيره.

ويستعرض القسم الثالث الأدب النبوي، ورسم الشخصية، وغاذج بشرية في الحديث النبوي، ودور المذايحة النبوية في الاحتفاظ بالارتباط بذات الرسول صلى الله عليه وسلم والرحلة الحجازية ومناهج الكتاب فيها، وقدم المؤلف أمثلة رائعة لكل منها .

وأما القسم الرابع فهو يعالج مؤامرات غربية لقطع صلة المسلمين بذات الرسول صلى الله عليه وسلم ومحظيات الأعداء ضد السنة النبوية، كما يلقي الضوء على مكانة الرسول العظيم عند المنصفين من علماء الغرب وأدبائه واعترافاتهم بفضل البعثة الحمدية على الإنسانية وما زرها العظيمة.

وأما القسم الخامس فهو يعرض السيرة النبوية في سطور من مولده إلى وفاته، والأحداث المهمة ذات الأثر العظيم من سيرته، كما يذكر عدة جداول لأعيان العرب ودعاة الصحابة الكريم وأشبال الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

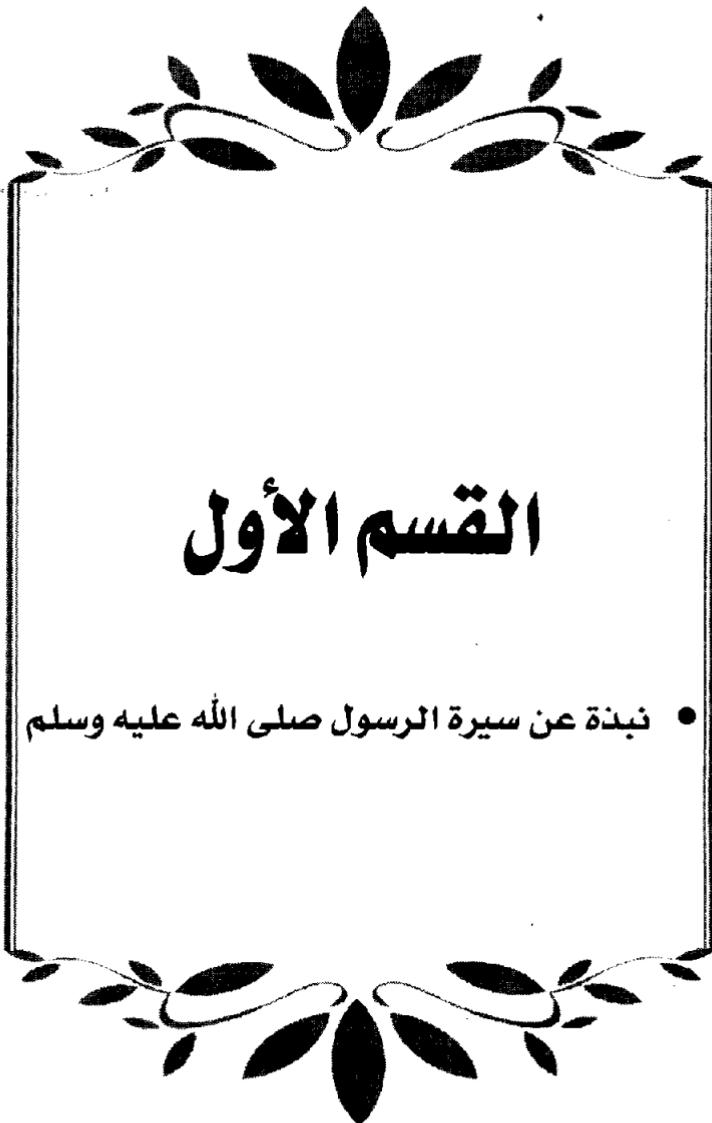
وفي ختام الكتاب سُلط ضوء على تاريخ وضع الكتب حول السيرة النبوية ومناهج الكتاب في هذا الموضوع ومراحل

تطور هذا العلم، ثم ذكر قائمة مفيدة للكتب المؤلفة حول السيرة النبوية الكريمة من الكتب الكبار المبسوطة والكتب المتوسطة والكتب المختصرة، وقدمت قائمة للدراسات المعاصرة في السيرة النبوية الكريمة كذلك.

أرجو الله تعالى أن يكون هذا الكتاب القيم نافعاً مقبولاً لدى المستفيدين منه وأن يتقبل عمله هذا و يجعله نافعاً وهو ولني التوفيق.

#### كتبه

محمد الرابع الحسني التدويني	٢٧ / رمضان ١٤٣١ هـ
الرئيس العام لندوة العلماء	٠٧ / سبتمبر ٢٠١٠ م
لكاناؤ(الهند)	



# القسم الأول

• نبذة عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم •

## نبذة عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١-٦٧٦هـ) رحمه الله - :

**نسبة صلى الله عليه وسلم**

هو، صلى الله عليه وسلم ، محمد، رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهْر بن مالك بن النضر بن گنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدَّ بن عدنان<sup>١</sup>.

إلى هنا إجماع الأمة، وأما ما بعده إلى آدم فمختلف فيه أشدّ اختلاف.

قال العلماء: ولا يصح فيه شيء يعتمد.  
وقصيّ بضم القاف، ولؤي بالهمزة وتركه، وإلياس بهمزة وصل، وقيل: بهمزة قطع.

(١) مقتبس من تهذيب السيرة النبوية للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١-٦٧٦هـ) رحمه الله -: خرجه وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن الشاعي، الطبعة السادسة، المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرته، رابطة العالم الإسلامي ٢٠٠٩م.

(٢) الصحيح من الفتح ٧١٦٢ / ١ زاد المعد ٧١ / ١ للعلامة ابن القيم، وفتح الباري ٥٣٨ / ٦ - ٥٣٩.

## كُنَاءُ وَاسْمَاؤُهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَكُنْيَةُ النَّبِيِّ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْهُورَةُ: أَبُو القَاسِمَ<sup>١</sup>.  
 وَكُنَاءُ جَبَرِيلَ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَا إِبْرَاهِيمَ<sup>٢</sup>.  
 وَلِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْمَاءُ كَثِيرَةٍ، أَفْرَدَ  
 فِيهَا الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هَبَّةِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ  
 اللَّهِ الشَّافِعِيِّ الدَّمْشِقِيِّ، الْمَعْرُوفُ بْنَ عَسَاكِرٍ - رَحْمَةُ اللَّهِ - بَابًا فِي  
 تَارِيخِ دَمْشِقٍ<sup>٣</sup>، ذُكِرَ فِيهِ اسْمَاءُ كَثِيرَةٍ، جَاءَ بَعْضُهَا فِي الصَّحِيفَتَيْنِ،  
 وَبَاقِيَهَا فِي غَيْرِهِمَا، مِنْهَا:

مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدٌ، وَالْحَاشِرُ، وَالْعَاقِبُ، وَالْفَقْيُ، وَالْمَاحِيُّ،  
 وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ: نَبِيُّ  
 الْمَلَاحِمِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَالْفَاتِحَةِ، وَطَهِ، وَيَسِينُ، وَعَبْدُ اللَّهِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ أَحْمَدُ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ عَلِيِّ  
 الْبَيْهَقِيِّ - رَحْمَةُ اللَّهِ - : "زَادَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ فَقَالُوا: سَمَاءُ اللَّهِ -  
 عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْقُرْآنِ: رَسُولاً، نَبِيًّا، أُمِّيًّا، شَاهِدًا، مُبَشِّرًا،  
 نَذِيرًا، وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا، وَرَوْفًا، رَحِيمًا،  
 وَمَذْكُرًا، وَجَعَلَهُ رَحْمَةً وَنَعْمَةً، وَهَادِيًّا، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>٤</sup>.

وَعَنْ أَبْنَى عِيَاضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَسْمَى فِي الْقُرْآنِ مُحَمَّدٌ، وَفِي الإِنْجِيلِ أَحْمَدٌ، وَفِي

(١) قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام ص: ٣٣ وقد توادر أن كنيته أبو القاسم.

(٢) انظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٢٧٨.

(٣) ص: ١٢ انظر تهذيبه: ١/٢٧٤.

(٤) انظر: دلائل التوبة ١/١٦٠.

التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأنني أحيد عن أمتي نار جهنم".  
قلت: وبعض هذه المذكورات صفات، (فإطلاقهم الأسماء عليها  
مجاز).

وقال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه "الأحوذى في شرح الترمذى": قال بعض الصوفية: الله - عزوجل - ألف اسم، وللنبي، صلى الله عليه وسلم ، ألف اسم".  
قال ابن العربي: "فأما أسماء الله - عزوجل - فهذا العدد حقير فيها، وأما أسماء النبي، صلى الله عليه وسلم ، فلم يُحصها إلا من جهة الورود الظاهر بصيغة الأسماء البينة، فوقيعها منها أربعة وستين اسمًا ثم ذكرها مفصلاً مشروحة فاستوعب وأجاد، ثم قال: "وله وراء هذا أسماء".

أمه صلى الله عليه وسلم

وأمُّ النبي، صلى الله عليه وسلم ، آمنة بنت وَهْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرَة بن كَلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤْيَيْ بن غَالِب.  
ولادته صلى الله عليه وسلم

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل، وقيل:  
بعده ثلاثة سنة.

قال الحاكم أبو أحمد : "وقيل : بعده بأربعين سنة ، وقيل :  
بعده عشر سنين" رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في "تاريخ  
دمشق"

الصحيح المشهور: أنه (ولد) عام الفيل  
ونقل إبراهيم بن المنذر الحزمى ، شيخ البخارى ، وخليفة

بن خياط وآخرون الإجماع عليه، واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين<sup>١</sup> من شهر ربيع الأول.

واختلفوا هل هو في اليوم الثاني، أم الثامن، أم العاشر، أم الثاني عشر؟ فهذه أربعة أقوال مشهورة.

**وفاته صلى الله عليه وسلم**

وتوفّيَ ، صلى الله عليه وسلم ، ضحى يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة ، خلت من شهر ربيع الأول ، سنة إحدى عشرة من الهجرة ، ومنها ابتداء التاريخ كما سبق .

**دفنه وعمره صلى الله عليه وسلم**

وُدُفِن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس<sup>٢</sup> ، وقيل : ليلة الأربعاء ، وتوفي ، صلى الله عليه وسلم ، ولوه ثلاثة وستون سنة ، وقيل : خمس وستون سنة ، وقيل : ستون سنة ، والأول أصح وأشهر ، وقد جاءت الأقوال الثلاثة في الصحيح<sup>٣</sup> .

قال العلماء : الجمع بين الروايات أن من روی ستين لم يعد معها الكسور ، ومن روی خمساً وستين عدّ سنتي المولد والوفاة ، ومن روی ثلاثة وستين لم يعدّهما .

**والصحيح ثلاث وستون ، وكذا في الصحيح في سن أبي بكر<sup>٤</sup> ، وعمر<sup>٥</sup> ، وعلي<sup>٦</sup> ، وعائشة<sup>٧</sup> ، رضي الله عنهم ، ثلاث**

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٨٢٠/٢ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "فيه ولدت ، وفيه أنزل علي".

(٢) معنى زالت الشمس: أي مالت عن وسط السماء إلى المغرب ، وهو وقت الظهر.

(٣) صحيح البخاري: ٣٥٣٦ و ٤٤٦٦ و صحيح مسلم: ٢٣٤٧ و ٢٣٤٨ .

(٤) صحيح مسلم ٢٣٤٨

(٥) صحيح مسلم ٢٣٤٨

وستون سنة.

قال الحاكم أبو أحمد: وهو شيخ الحاكم أبي عبد الله . يقال ولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يوم الاثنين ، ونبيء يوم الاثنين ، وهاجر من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين<sup>٣</sup>.

وروي أنه ، صلى الله عليه وسلم ، ولد مختوناً مسروراً .  
وكفن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في ثلاثة أنوار  
بيض ، ليس فيها قميص ولا عمامه ، ثبت ذلك في الصحيحين<sup>٤</sup>.  
قال الحاكم أبو أحمد: "ولما أدرج رسول الله ، صلى الله  
عليه وسلم ، في أكفانه وضع على سريره على شفير القبر ، ثم  
دخل الناس أرسالاً يصلون عليه فوجاً فوجاً ، لا يؤمهم أحد ،  
فأولهم صلاة عليه العباس ثم بنو هاشم ، ثم المهاجرون ، ثم  
الأنصار ، ثم سائر الناس ، فلما فرغ الرجال دخل الصبيان ، ثم  
النساء ، ثم دفن ، صلى الله عليه وسلم ، ونزل في حفرته  
العباس ، وعلى ، والفضل وقثم ابنا العباس ، وشقران<sup>٥</sup>.

قال : "ويقال كان أسامة بن زيد وأوس بن حولي معهم".  
ودُفِن في اللحد ، وبُني عليه ، صلى الله عليه وسلم ، في  
لحده اللبن ، يقال : إنها تسع لبනات ، ثم أهالوا التراب ، وجعل

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي : عهد الخلق، الراشدين ص: ٦٥٢

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ١٩٣/٢

(٣) انظر: المسند ١/٢٧٧ ودلائل النبوة للبنبيقي ٧/٢٣٣

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٢٦٤، و: ١٢٧١، و: ١٢٧٢، و: ١٢٧٣، وصحيف مسلم: ١٣٨٧

(٥) نقل الحافظ ابن حجر في "الإصابة": ١/١٣٥ في ترجمة أوس رضي الله عنه عن ابن إسحاق أنه ذكره ضعن من نزلوا في قبره ، صلى الله عليه وسلم ن طريق نفسه وفيه ضعيف.

قبره، صلى الله عليه وسلم ، مسطحاً . ورش عليه الماء رشأ .  
قال : ويقال نزل المغيرة في قبره ولا يصح .

قال الحاكم أبو أحمد : يقال مات عبد الله والد رسول الله ،  
صلى الله عليه وسلم ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمانية  
وعشرون شهراً ، وقيل : تسعة أشهر ، وقيل سبعة أشهر ، وقيل  
شهران ، وقيل : مات وهو حمل ، وتوفي بالمدينة ، قال الواقدي  
وكتبه محمد بن سعد : لا يثبت أنه توفي وهو حمل .  
ومات جده عبد المطلب وله ثمان سنين<sup>١</sup> ، وقيل ست  
سنين ، وأوصى به إلى أبي طالب .

وماتت أم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وله ست  
سنين ، وقيل : أربعين سنين ، وماتت بالأبواء . مكان بين مكة والمدينة  
ويُعث ، صلى الله عليه وسلم ، رسولاً إلى الناس كافة  
وهو ابن أربعين سنة ، وقيل أربعين يوم<sup>٢</sup> .

وأقام بمكة بعد النبوة ثلاثة عشرة سنة ، وقيل عشرة ، وقيل  
خمس عشرة (سنة) ، ثم هاجر إلى المدينة ، فأقام بها عشر سنين  
بلا خلاف ، وقدم المدينة يوم الاثنين لشنتي عشرة خلت من شهر

(١) الصحيح أن قبره صلى الله عليه وسلم ، قد جعل مسناً ، وبدل لذلك ما رواه البخاري  
١٣٩٠ عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسناً وعن جابر بن عبد الله  
رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ ونصب عليه اللبان نصباً ورفع قبره من  
الأرض نحوها من شبر رواه ابن عباس في صحيحه .

(٢) المشهور عند أهل السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين لا توفي جده عبد المطلب .  
(٣) جزم الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٦٤/٧ أن جعر النبي صلى الله عليه وسلم حين  
أنزل عليه كان أربعين سنة وستة أشهر ، وذلك على اعتبار ما ثبت في الصحيح أنه ، صلى  
الله عليه وسلم ، بعث على رأس أربعين سنة ، وأنه صلى الله عليه وسلم ، أنزل عليه في  
رمضان وعلى المشهور من أن مولده ، صلى الله عليه وسلم ، في شهر ربيع الأول .

ربيع الأول<sup>١</sup>.

قال الحاكم : وبدأ الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، في بيت ميمونة<sup>٢</sup> ، يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر صفر . رضاعته صلى الله عليه وسلم

أرضاعته صلى الله عليه وسلم ، ثُوبية<sup>٣</sup> - بضم المثلثة - مولاة أبي لهب أيامًا ، ثم أرضاعته حليمة بنت أبي ذئب عبد الله بن الحارث السعدية ، وروي عنها أنها قالت : كان يشب في اليوم شباب الصبي في شهر ونشأ صلى الله عليه وسلم ، يتيمًا فكفله جده عبد المطلب ، ثم عمّه أبو طالب ، وطهره الله عزوجل من دنس الجاهلية فلم يعظم صنماً لهم في عمره قط ، ولم يحضر مشهدًا من مشاهد كفرهم ، وكانوا يطلبونه لذلك فيمتنع ويعصمه الله - تعالى - من ذلك .

وفي الحديث : عن علي - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال "ما عبدت صنماً قط ، وما شربت خمراً قط ، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر" وهذا من لطف الله - تعالى - به أن برأه من دنس الجاهلية ومن كل عيب ؛ ومنحه كل خلق جميل ؛ حتى كان يعرف في قومه بالأمين ، لما شاهدوا من أمانته

(١) ثبت في صحيح البخاري ٣٩٠٦ أن مقدم النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة كان في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، واختلف في تاريخ اليوم فقيل : ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٢ ، والجمهور أنه يوم ١٢ راجع فتح الباري ٢٤٤/٧ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٤٨/٨ : "... روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن أسماء بنت عميس قالت : إن أول ما اشتكتي كان في بيت ميمونة .. الخ .

(٣) ثُوبية : ثُوفيت سنة سبع للهجرة ، وفي إسلامها خلاف .

(٤) رواه البخاري : ٥١٠١ و ٥١٠٥ و ٥١٠٧ و ٥١٢٣ ، و مسلم : ٥٣٧٢ ، و مسلم : ١٤٤٠ ، وأبو داود : ٢٠٥٦ ، والنمسائي : ٩٦/٦ .

وصدقه وطهارته.

فلما بلغ اثنى عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى ، فرأه بُحيرى الراھب فعرفه بصفته ، فجاء وأخذ بيده وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله حجة للعالمين .

قالوا : فمن أين علمت هذا ؟

قال : إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق (شجر) ولا حجر إلا خرّ ساجداً ، ولا يسجد إلا للنبي ، وإنما نجده في كتابنا .  
وسأل أبا طالب أن يرده خوفاً من اليهود فرده .

ثم خرج ، صلى الله عليه وسلم ، ثانياً إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة - رضي الله عنها - في تجارة لها قبل أن يتزوجها حتى بلغ سوق بصرى .

فلما بلغ خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة<sup>١</sup> .

ولما خرج إلى المدينة مهاجراً خرج معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومولى أبي بكر : عامر بن فهيرة - بضم الفاء - . ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي ، وهو كافر ، ولا يعلم له إسلام .

**صفته صلى الله عليه وسلم**

كان ، صلى الله عليه وسلم ، ليس بالطويل البائن ، ولا القصير ، ولا الأبيض الأمهق ، ولا الأدم ، ولا الجعد القحط ، ولا السبط ، وتوفي وليس في رأسه عشرون شعرة بيضاء ، وكان حسن

(١) انظر : فتح الباري / ١٣٣ / ٧

الجسم، بعيد ما بين المنكبين، له شعر إلى منكبيه، وفي وقت إلى  
شحمتي أذنيه، وفي وقت إلى نصف أذنيه، كث اللحية، شلن  
الكفين، أي غليظ الأصابع، ضخم الرأس والكراديس<sup>١</sup>.

في وجهه تدوير، أدعج العينين، طويل أهدابهما، أحمر  
المآقي، ذا مسْرَيَّةٍ وَهِيَ: الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة  
كالقضيب.

إذا مشى تقلع كأنها ينحط من صبب، أي يمشي بقوة،  
والصبب: الحدور، يتلألا وجهه (تلالُو) القمر ليلة البدر، كأن  
وجهه القمر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضلبيع الفم، سواء  
البطن والصدر.

أشعر المنكبين والذراعين، وأعلى الصدر، طويل الزنددين،  
رحب الراحة، أشكل العينين، أي: طويل شقيهما منهوس  
العقبين - أي قليل لحم العقب - بين كفيه خاتم النبوة كزر الحجلة  
أو كبيضة الحمام.

وكان إذا مشى كأنما تطوى له الأرض، ويجدون في لحاقه  
وهو غير مكتثر. وكان يسْدُلُ شعر رأسه، ثم فرقه، وكان  
يُرْجِله، ويُسْرِحُ لحيته، ويكتحل بالإثم كل ليلة في كل عين ثلاثة  
أطراف عند النوم.

وكان أحب الثياب إليه: القميص، والبياض، والخبرة،  
وهي ضرب من البرود فيه حمرة، وكان كُمُّ قميص رسول الله

(١) الكراديس: جمع كردوس، وهي كل عظمين التقايا في مفصل مثل الركبتين والوركين  
والمنكبين.

صلى الله عليه وسلم ، إلى الرسغ<sup>١</sup>.

ولبس في وقت حلة حمراء وإزاراً ورداء ، وفي وقت ثوبين (أخضرین) وفي وقت جبة ضيقة الكمين ، وفي وقت قباء ، وفي وقت عمامة سوداء ، وأرخي (طرفيها بين كتفيه ، وفي وقت مرطاً أسود من شعر ، أي : كساء. ولبس الخاتم ، والخلف والنعل.

**أولاده صلى الله عليه وسلم**

له ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة بنين.

القاسم : وبه كان يُكْنَى ، ولد قبل النبوة ، وتوفي وهو ابن ستين.

وعبد الله (ويسمى) الطيب . والطاهر . لأنه ولد بعد النبوة.

وقيل : الطيب والطاهر غير عبد الله ، وال الصحيح الأول.

والثالث : إبراهيم : ولد بالمدينة سنة ثمان ، ومات بها سنة عشر وهو ابن سبعة عشر شهراً ، أو ثمانية عشر شهراً.

وكان له صلى الله عليه وسلم ، أربع بنات :

زينب ، تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها ، وأمه : هالة بنت خويلد.

وفاطمة : تزوجها علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه.

ورقية : وأم كلثوم : تزوجهما عثمان بن عفان ، تزوج رقية ثم أم كلثوم ، وتوفيتا عنده ، ولهذا سمي ذا النورين ، توفيت رقية يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وتوفيت أم كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة.

(١) رواه أبو داود ٤٠٢٧ والترمذى ١٧٦٥ . والرسغ هو مفصل ما بين الكف والساعد

فالبنات أربع بلا خلاف ، والبنون ثلاثة على الصحيح .  
 وأول من ولده القاسم ، ثم زينب ، ثم رقية ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، وجاء أن فاطمة رضي الله عنها أسن من أم كلثوم ، ذكر ذلك علي بن أحمد بن سعيد بن (حزم) أبو محمد الحافظ ، ثم في الإسلام عبد الله بمكة ، ثم إبراهيم بالمدينة ، وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية ، وكلهم توفوا قبله ، إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر على الأصح الأشهر .

#### أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم

أعمامه ، صلى الله عليه وسلم ، أحد (عشر) .  
 أحدthem : الحارث ، وهو أكبر أولاد عبد المطلب ، وبه كان يُكتنى . وقُثم ، والزبير ، وحمزة ، والعباس ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، وعبد الكعبة ، وحَجْل ، بحاء مهملة مفتوحة ، ثم جيم ساكنة ، وضرار ، و(الغيداق)<sup>١</sup> .

أسلم منهم حمزة والعباس ، وكان حمزة أصغرهم سنًا لأنه رضي عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم العباس قريب منه في السن ، وهو الذي كان يلي زمم بعد أبيه عبد المطلب ، وكان أكبر سناً من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بثلاث سنين .  
 وعماته ، صلى الله عليه وسلم ، سنت : صفيه : أسلمت وهاجرت وهي أم الزبير بن العوام ، توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - وهي أخت حمزة لأمه ، وعاتكة ، قيل : إنها أسلمت ، وهي التي رأت رؤيا غزوة بدر . وقصتها مشهورة ، وبرة ، وأروى ، وأمية ، وأم حكيم ، وهي : البيضاء .

(١) قال عبد الغني المقدسي : في " مختصر السيرة " ص ٥١ : " وإنما سمي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأكثرهم طعاماً .

## أزواجه صلى الله عليه وسلم

(ألاهن) خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وجويرية، وصفية.

وهو لاء التسع - بعد خديجة - توفي عنهن، ولم يتزوج في حياة خديجة غيرها، ولا تزوج بكرًا غير عائشة.

وأما اللاتي فارقهن، صلى الله عليه وسلم ، في حياته فتركتا هن لكترة الاختلاف فيهن.

وكانت له سُرِّيَّتانِ، مارية<sup>١</sup>، وريحانة بنت زيد، وقيل : بنت شمعون، ثم أعتقها<sup>٢</sup>.

**روينا** عن قتادة قال : تزوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خمس عشرة امرأة ، فدخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفي عن تسع.

## مواليه صلى الله عليه وسلم

منهم : زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبوأسامة، وثوبان بن بُجْدُد - بضم المثلثة والدال ، وإسكان الجيم . وأبو كبشة . واسمها سليم ، شهد بدرًا ، وباذام<sup>٣</sup> ، ورويفع ، وقصير ، وميمون ، وأبو بكرة<sup>٤</sup> ، وهرمز ، وأبو صفية عبيد ، وأبو سلمى ، وأنسَة - بفتح الهمزة والنون - وصالح ، (وهو) شُقران ، ورياح - بالموحدة - أسود.

(١) وهي القبطية، أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم<sup>٥</sup> وقد أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، الإصابة ١٢٥/١٣.

(٢) وهي من بنى النضير من اليهود، وقد أسلمت رضي الله عنها، راجع الإصابة ١٢/٢٦٧.

(٣) باذام - بالذال المعجمة، ويدركه بعضهم بالدال المهملة، قيل هو ذكوان الآتي ذكره.

(٤) وهو الصحابي المعروف ثقيع بن الحارث وبعضهم لم يعد في مواليه صلى الله عليه وسلم.

ويسار الراعي : نوبيٌّ ، وأبو رافع ، واسمه أسلم ، وقيل غير ذلك ،  
(أبومُويَّهَة) وفضالة اليماني ، ورافع.

ومدْعُم - بكسر الميم وإسكان الدال وفتح العين والهملتين -  
أسود . وهو الذي قُتل (بخيير) وكركرة . بكسر الكافين . وقيل بفتحهما .  
كان على نقل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وزيد : جد هلال بن  
بسار بن زيد . وعُيادة . وطهمان أو كيسان أو مهران أو ذكوان أو  
مروان ، ومبور القبطي (وواقد) ، وأبو واقد .

وهشام ، وأبو ضَمِيرَة ، وحُنَين ، وأبو عسَيب ، واسمه  
أحمر . وأبو عبيدة وسفينة ، (مسلمان) الفارسي ، وأيمَن بن أم  
أيمَن ، وأفلح ، وسابق ، وسالم ، وزيد بن بولا ، وسعيد ،  
(وضَمِيرَة) ، وعيَّد الله بن أسلم ، ونافع ، ونبيه ، ووردان ،  
وأبُوئيلَة ، وأبُو الحمراء .

ومن الإماء : سلمى - بفتح السين - أم رافع ، وأم أيمَن : بَرَكَة -  
بفتح الباء . وهي أم أسامة بن زيد ، وميمونة بنت سعد ، وخضرة ،  
ورضوى ، وأميمة ، وريحانة ، وأم ضَمِيرَة ، ومارية ، وشيرين<sup>١</sup> وهي  
أختها ، وأم عباس .

وكثير من هؤلاء (المذكورين) لهم ذكر في هذه الكتب<sup>٢</sup> .  
واعلم أن هؤلاء الموالي لم يكونوا موجودين في وقت واحد  
للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، بل كان كل بعض منهم في وقت ،  
والله أعلم .

(١) ويقال - أيضًا - سيرين بالسين المهملة . وهي خالة إبراهيم ابن النبي ﷺ .

(٢) أي في كتاب العلماء المؤلفة ويعني : المنزي ، والمذهب ، والتنبيه ، والوسط ، والوجيز ،  
والروضة .

خدمه صلى الله عليه وسلم

منهم أنس بن مالك، وهنّاء، وأسماء ابنا حارثة الأسلميّان، وريبيعة بن كعب الأسلمي، وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلس حطّهما وجعلهما في ذراعيه حتى يقوم، وكان عقبة بن عامر الجهنمي صاحب بغلته، صلى الله عليه وسلم ، يقود به في الأسفار، وبلال المؤذن، وسعد مولى أبي بكر الصديق، ذو مخمر ويقال : مخبر .  
بالباء الموحدة - ابن أخي النجاشي ، ويقال ابن أخيه ، وبكير بن (شَدَّاخ) الليشي ، ويقال بكراً ، وأبو ذر الغفاري والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي ، ومهاجر مولى أم سلمة ، وأبو (السمع) . رضي الله عنهم .

**كتابه صلى الله عليه وسلم**

ذكرهم الحافظ أبو القاسم في "تاريخ دمشق" أنهم ثلاثة وعشرون، وروى ذلك كله بأسانيده.

وهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي ، و(طلحة) والزبير ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعمرية بن أبي سفيان ، ومحمد بن مسلمة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص ، وثبت بن قيس ، وحنظلة بن الريبع ، وخالد بن الوليد ، وعبد الله بن الأرقم ، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه ، والعلاء بن (عقبة) ، والمغيرة بن شعبة ، والسجل .  
وزاد غيره : شرحيل ابن حسنة .

قالوا : وكان أكثرهم كتابة : زيد بن ثابت ، ومعاوية رضي  
الله عنهم .  
رسله صلى الله عليه وسلم

أرسل ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن أمية الضميري إلى النجاشي ، فأخذ كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ووضعه على عينيه ، ونزل عن سريره ، فجلس على الأرض ، ثم أسلم حين حضره جعفر بن أبي طالب ، وحسن إسلامه .

وأرسل صلى الله عليه وسلم ، دحية بن خليفة الكلبي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم . وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس . وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوس ملك مصر ، والإسكندرية فقال خيراً ، وقارب أن يسلم ، وأهدي لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مارية القبطية وأختها شيرين ، فوهبها رسول ، صلى الله عليه وسلم ، لحسان بن ثابت .

وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عمان ، فأسلمها ، وخلالا بين عمرو وبين الصدقة ، والحكم فيما بينهم ، فلم يزل عندهم حتى توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وأرسل سليمان بن عمرو العامري إلى الإمامة إلى هودة بن علي الحنفي .

وأرسل شجاع بن وهب الأنصاري إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك البلقاء من أرض الشام .

وأرسل المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري .

وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدى

ملك البحرين، فصدق وأسلم.

وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن (داعين) إلى الإسلام، فأسلم عامّة أهل اليمن، ملوكهم وسُوقَتُهم<sup>١</sup>.

**مُؤذنوه صلى الله عليه وسلم**

له، صلى الله عليه وسلم ، أربعة من المؤذنون: بلال وابن أم مكتوم بالمدينة، وأبو مذورة بمكة، وسعد القرظيقياء.

**غفرته وجنته وغزواته وسراياه صلى الله عليه وسلم**

ثبت في الصحيحين أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، اعتمر أربع عمرة بعد الهجرة، ولم يحج إلا حجة (واحدة : جة) الوداع التي ودع الناس فيها سنة عشر من الهجرة<sup>٢</sup>.

وغزا بنفسه، صلى الله عليه وسلم ، خمساً وعشرين غزوة، هذا هو المشهور، وهو قول موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وأبي معشر، وغيرهم من أئمة السير والمغازي، وقيل: سبعاً وعشرين.

ونقل أبو عبد الله محمد بن سعد في "الطبقات" الاتفاق على أن غزواته، صلى الله عليه وسلم ، بنفسه سبع وعشرون عزوة<sup>٣</sup>،

(١) انظر: جوامع السيرة ص: ٣٠.

(٢) انظر صحيح البخاري: ١٧٧٨ وصحيف مسلم: ١٢٥٤ قلت: وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قد حج قبل الهجرة، وهذا ما رجحه الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٥١٧/٣، وانظر صحيح البخاري: ١٦٦٤ وصحيف مسلم: ١٢٢٠ وسنن الترمذى ٥٥٥ وسنن الدارمى: ١/٣٨٤.

(٣) روى مسلم في صحيحه: ١٨١٣ عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: غزوت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، تسع عشر غزوة، قال جابر: لم أشهد بدرا ولا أحدا، معنني أبي، فلما قتل عبد الله يوم أحد لم اختلف عن رسول الله، صلى الله عليه

وسراياه ست وخمسون (وعدّها) واحدة واحدة مرتبة على حسب قواعدها.

قالوا: ولم يقاتل إلا في تسع: بدر، وأحد، والخندق، وبني قريظة، وبني المصطلق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف، وهذا على قول من قال فتحت مكة عنوة.  
وقيل: قاتل بنوادي القرى، وفي الغابة<sup>١</sup>، وبني النضير، والله أعلم.

#### أخلاقه صلى الله عليه وسلم

كان، صلى الله عليه وسلم ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، وكان أحسن الناس خلقاً وخلقأ ، وألينهم كفأ ، وأطيبهم ريحأ ، وأكملهم حجاً ، وأحسنهم عشرة (وأشجعهم) وأعلمهم بالله ، وأشدهم الله خشية ، ولا يغضب لنفسه ، ولا ينتقم لها ، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله . عزوجل . فحيث ذي يغضب ولا يقوم لغضبه شيء حتى يتصر للحق ، وإذا غضب أعرض وأشاح .

وكان خلقه القرآن ، وكان أكثر الناس تواضعاً ، يقضي حاجة أهله ، ويختفي جناحه للضعف ، وما سئل شيئاً قط فقال

وسلم في غزوة قط، وبفهم من ذلك أن عدد الفزوّات إحدى وعشرين أو نحوها من ذلك، وهذا ما رواه مصراحاً به عن جابر أبو عبيدي بسند صحيح، كما قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٢٨٠/٧ ويعمل التفاوت في إحصاء عدد الفزوّات أن بعضهم ربما دمج الفزوّتين باسم واحد، آخرون يجعلون للفزوة الواحدة أكثر من اسم لاختلاف زمانها أو مكانها، ونحو ذلك نبه لهذا الحافظ في الفتح ٣٨٠/٧ أو لأن بعضهم عد الفزوّات مطلقاً وبعضهم يخص التي حصل فيها قتال فقط

(١) وادي القرى والغابة: موضعان بين المدينة والشام، قرب المدينة، (معجم البلدان).  
(٢) بكسر الحاء - المهملة - أولًا وفتح الجيم ثانية، أي أنه صلى الله عليه وسلم أكملهم عقلًا.

لا، وكان أحلم الناس، وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، والقريب والبعيد والقوى والضعف عنده في الحق سواء. وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن تركه، ولا يأكل متكتناً، ولا على خوان<sup>١</sup>، ويأكل ما تيسر، ولا يمتنع من مباح ما، وكان يحب الحلوا والعسل، ويعجبه الدباء. وهو البقطين<sup>٢</sup> وقال: "نعم الإدام الخل"<sup>٣</sup> وفضل عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر الطعام<sup>٤</sup> وكان أحب الشاة إليه الذراع، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، يعني للعدم، وكان يأتي الشهر والشهران ولا يُوقَدُ في بيت من بيته نار.

وكان يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، ويكتفى على الهدية وبخصف<sup>٥</sup> النعل، ويرفع الثوب، ويعود المريض، ويجيب من دعاه من غني وفقير ودني وشريف، ولا يحقر أحداً. وكان يقعد تارة القرفصاء<sup>٦</sup> وتارة متربعاً، واتكاً في أوقات، وفي كثير من الأوقات أو في أكثرها متحيناً بيديه<sup>٧</sup>، وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعثهن، ويتنفس في الشراب بالإماء ثلاثة خارج الإناء.

(١) الخوان: كلمة معروفة تطلق على ما ارتفع عن الأرض ليؤكل الطعام عليه وقد روى البخاري: ٥٣٨٦ عن أنس "أنه صلى الله عليه وسلم ما أكل على خوان قط".

(٢) وهو القرع، كما في القاموس.

(٣) رواه مسلم: ٢٠٥١.

(٤) رواه البخاري: ٣٧٧٠ و: ٥٤١٩، و: ٥٤٢٨، ومسلم: ٢٤٢٦ وغيرهما.

(٥) أي يخرزه ويصلحه

(٦) قدة القرفصاء: أن يجلس على بيته، ويلصق فخذيه ببطنه ويضع يديه على ساقيه.

(٧) الاحتباة: أن يجمع ظهره وساقيه بيديه

ويتكلّم بجوابع الكلم، ويُعيَّد الكلمة ثلاثة لتفهُّمِهِ، وكلامهُ  
 يُبَيِّنُ يفهُّمهُ من سمعهِ، ولا يتكلّمُ من غير حاجةٍ، ولا يُقْعِدُ ولا  
 يقومُ إلَّا على ذكرِ الله - تعالى - . وركب الفرس والبغير والحمار  
 والبلغة، وأردد معاذًا خلفه على ناقة وعلى حمار، ولا يدع  
 أحدًا يمشي خلفه. وغضَّبَ<sup>١</sup> على بطنه الحجر من الجوع، وكان  
 بيبيت هو وأهله الـليالي طاوين<sup>٢</sup>، وفراشه من أدم<sup>٣</sup>، حشوه من  
 ليف، وكان متقللاً من أمتعة الدنيا كلها، وقد أعطاه الله - تعالى - .  
 مفاتيح خزائن الأرض كلها فأبى أن يأخذها واختار الآخرة عليها.  
 وكان كثير الذكر، دائم الفكر، جُلَّ ضحكه التبسم،  
 وضحك في أوقات حتى بدت نواجذه، وهي الأناب، ويحب  
 الطيب، ويكره الريح الكريهة، ويمزح ولا يقول إلَّا حقاً، ويقبل  
 عذر المعتذر إليه، وكان كما وصفه الله - تعالى - . **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ**  
**رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ**  
**رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبه: ١٢٨] وقال تعالى: **﴿وَصَلَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ**  
**صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾** [التوبه: ١٠٣].

وكانت ماعتنته تعريضاً: "ما بالُّناس يشترون شروطاً  
 ليست في كتاب الله"<sup>٤</sup>، ونحو ذلك ويأمر بالرفق، ويحث عليه،  
 وينهى عن العنف، ويحث على العفو والصفح، ومكارم  
 الأخلاق، ويحب التَّئِمُّن في طهوره، وتنعله وترجله وفي شأنه

(١) أي ربطه وشده.

(٢) أي جائعين.

(٣) أي من جلد.

(٤) رواه البخاري: ٢١٥٥، و٢٥٦٣، ومسلم: ١٥٠٤ وغيرهما.

كله، وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى، وإذا نام أو اضطجع؛ اضطجع على جنبه الأيمن مستقبل القبلة.

وكان مجلسه مجلس حلم وحياة، وأمانة وصيانة، وصبر وسکينة، ولا تُرفع فيه الأصوات، ولا (ثُؤْبَنْ) فيه الحُرُم أي: لا تذكر فيه النساء، (يتفاضلون) فيه بالتفوى، ويتواضعون ويُوقِّر الكبار، ويُرْحِمُ الصغار، ويُؤْثِرونَ المحتاج، ويحفظون الغريب، وينخرجون أدلة على الخير.

وكان يتألف أصحابه، ويكرم كريم كل قوم، ويُوليه أمرهم، وينفرد أصحابه، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يغفو ويصنف، ولم يضرب خادماً ولا امرأة، ولا شيئاً فقط، إلا أن يجاهد في سبيل الله - تعالى - ، وما خَيْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِنْمَاءً.

ودلائل كل ما ذكرته في الصحيح مشهورة، فقد جمع الله - سبحانه وتعالى - له صلى الله عليه وسلم ، كمال الأخلاق ومحاسن الشيم، وآتاه علم الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلم له من البشر، وآتاه (الله) مالم يوت أحداً من العالمين، واختاره على جميع الأولين والآخرين، صلوات الله وسلامه [عليه] دائتين إلى يوم الدين.

ثبت في الصحيح<sup>١</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "ما مَسَسْتُ دِيَاجَاً وَلَا حَرِيراً أَلِينَ مِنْ كَفَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا شَمَّتْ رَائِحةً قَطْ أَطِيبَ مِنْ رَائِحةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ

(١) صحيح البخاري: ٣٥٦١، صحيح مسلم: ٢٣٠٩.

خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لـي فقط : أـفـ، ولا قال لـشيـء فعلته : لم فـعلـتهـ، ولا لـشيـء لم أـفعـلـهـ: أـلا فـعـلتـ كـذـاـ".

### معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

لـرسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، معـجزـاتـ ظـاهـرـاتـ ، وأـعـلامـ مـظـاهـرـاتـ ، تـبـلـغـ أـلـوـفـأـ وـهـيـ مشـهـورـاتـ .

فـمـنـهاـ: الـقـرـآنـ ، الـمـعـجـزـةـ الـظـاهـرـةـ ، وـالـدـلـالـةـ الـبـاهـرـةـ ، لـاـ يـأـتـيهـ الـبـاطـلـ مـنـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـلـاـ مـنـ خـلـفـهـ ، تـنـزـيلـ مـنـ حـكـيمـ حـمـيدـ ، الـذـيـ أـعـجزـ الـبـلـغـاءـ فـيـ أـفـصـحـ الـأـعـصـارـ ، وـأـعـيـاـهـ أـنـ يـأـتـواـ بـسـوـرـةـ (ـمـثـلـهـ)ـ وـلـوـ اـسـتـعـانـوـ بـجـمـيعـ الـخـلـقـ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ : (ـقـلـ لـئـنـ اـجـتـمـعـتـ الـإـنـسـ وـالـجـنـ عـلـىـ أـنـ يـأـتـوـ بـيـمـثـلـ هـذـاـ الـقـرـآنـ لـأـ يـأـتـوـ بـيـمـثـلـهـ وـلـوـ كـانـ بـعـضـهـمـ لـبـعـضـ ظـهـيرـاـ)ـ [ـالـإـسـرـاءـ : ـ٨٨ـ]ـ فـتـحـدـاـهـمـ بـذـلـكـ مـعـ (ـتـكـاثـرـهـمـ)ـ وـفـصـاحـتـهـمـ وـشـدـةـ عـدـاـتـهـمـ وـإـلـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ .

وـأـمـاـ الـمـعـجزـاتـ غـيـرـهـ فـلـاـ يـمـكـنـ حـصـرـهـ أـبـداـ ، لـأـنـهـ كـثـيرـ جـداـ ، وـمـتـجـدـدـةـ مـتـزـاـيـدـةـ ، وـلـكـنـ أـذـكـرـ مـنـهـاـ أـمـثـلـهـ: وـذـلـكـ كـانـ شـقـاقـ الـقـمـرـ ، وـنـبـعـ الـمـاءـ مـنـ بـيـنـ أـصـابـعـهـ ، وـتـكـثـيرـ الـمـاءـ وـالـطـعـامـ ، وـتـسـبـيـحـ الـطـعـامـ ، وـحـنـينـ الـجـلـدـ ، وـتـسـلـيمـ الـحـجـرـ ، وـتـكـلـيمـ الـذـرـاعـ الـمـسـمـوـةـ ، وـمـشـيـ الـشـجـرـ إـلـيـهـ ، وـاجـتمـاعـ الشـجـرـتـينـ الـمـتـبـاعـدـتـينـ ، وـرـجـوـعـهـمـاـ إـلـىـ مـكـانـيـهـمـاـ ، وـدـرـورـ الشـاـةـ الـحـائـلـ وـرـدـهـ عـيـنـ قـتـادـةـ بـنـ النـعـمـانـ بـعـدـ أـنـ نـدـرـتـ وـصـارـتـ فـيـ يـدـهـ إـلـىـ مـكـانـهـاـ ، فـلـمـ تـكـنـ تـعـرـفـ بـعـدـ ذـلـكـ ، وـتـفـلـهـ فـيـ عـيـنـ عـلـيـ وـكـانـ أـرـمـدـ - فـبـرـيـءـ مـنـ سـاعـتـهـ ، وـمـسـحـهـ رـجـلـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـتـيـكـ فـبـرـأـتـ فـيـ الـحـالـ .

وإخباره بمصارع المشركين يوم بدر: "وهذا مصرع فلان" فلم يعدوا مصارعهم، وإخباره بقتله أبي بن خلف، وإخباره بأن طائفته من أمهه يغزوون البحر، وأن أم حرام منهم، فكان كذلك، وبأنه يفتح على أمهه ما زُوي له من مشارق الأرض وغارتها، وبأن كنوز كسرى تنفقها أمهه في سبيل الله - عزوجل . وبأنه يخاف على أمهه ما يفتح عليهم من زهرة الدنيا، وبأن خزانة فارس والروم تُفتح لنا، وبأن سُراقة بن مالك يُسور بسواري كسرى.

وبأن الحسن بن علي يصلح الله به بين فترين عظيمتين من المسلمين، وبأن سعد بن وقاص يعيش حتى يتفع به أقوام ويُضرّ به آخرون، وبأن النجاشي مات يومكم هذا وهو بالحبشة، وبأن الأسود العنسي قتل ليتكم هذه وهو باليمن، وبأن المسلمين يُقاتلون الترك: الصغار الأعين، عرَاضُ الوجه، دُلف الأنوف، وبأن اليمن تفتح عليكم الشام وال العراق.

وبأن المسلمين يُجندون ثلاثة أجناد: جنداً بالشام، وجنداً باليمن، وجنداً بالعراق، وبأنهم يفتحون مصر: أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمةً ورجماً، وبأن أويساً القرني يقدم عليكم في أمداد أهل اليمن، كان به برصٍ فبراً منه إلا قدر درهم، فقدم كذلك على عمر.

وبأن طائفته من أمهه على الحق، وبأن الناس يكترون، وبأن الأنصار يقلُّون، وبأن الأنصار يلقون بعده أثرةً، وبأن الناس لا يزالون يسألون حتى يقولوا هذا: "خلق الله الخلق..." الحديث،

(١) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم "لن يبرح الناس يتتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء" ، فمن خلق الله؟ رواه البخاري: ٧٢٩٦ ومسلم: ١٣٦ وغيرهما راجع فتح

وبأن رُويفع بن ثابت تطول به الحياة، وبأن عمار بن ياسر تقتله الفتنة الباغية، وبأن هذه الأمة ستفرق، وبأنه سيكون بينهم قتال. وبأنه ستخرج نار من أرض الحجاز، وأشباه هذا، فووقدت كلّها كما (أخبر) صلى الله عليه وسلم ، واضحة جلّية، وقال ثابت بن قيس : "تعيش حميداً.. وتقتل شهيداً" فعاش حميداً، واشتبهد باليمامـة، وقال لعثمان : "تصيبه بلوى شديدة" ، وقال في رجل من المسلمين يقاتل قتالاً شديداً : "وإنه من أهل النار" فقتل نفسه، وجاءه وابضـة بن معبد يسألـه عن البر والإثم، فقال : "جئت تسأـل عن البر والإثم؟" وقال لعليـي والزبير والمقداد : "اذهبا إلى روضـة خاخ، (فإن بها) ظعينـة معها كتاب" فوجدوـها، فأنـكـرـتهـ، ثم أخـرـجـتهـ من عـقاـصـهـاـ.

وقال لأبي هريرة حين سرق الشيطان التمر : "إنه سيعود" فعاد وقال لأزواجهـ : "أطـولـكـنـ يـدـاـ أـسـرـعـكـنـ لـحـاقـاـ بـيـ" فكان كذلكـ، وقال لعبد الله بن سلامـ : "أنت على الإسلام حتى تموتـ" ، ودعاـ، صلى الله عليه وسلم ، لأنـسـ بأنـ يـكـثـرـ مـالـهـ وـولـدـهـ وـيـطـولـ عمرـهـ فـكانـ كـذـلـكـ، عـاـشـ فـوـقـ مـائـةـ سـنـةـ، وـلـمـ يـكـنـ أحدـ منـ الـأـنـصـارـ أـكـثـرـ مـالـاـ مـنـهـ، وـدـفـنـ مـنـ أـوـلـادـهـ الذـكـورـ لـصـلـبـهـ مـائـةـ وـعـشـرـونـ اـبـنـاـ قـبـلـ قـدـومـ الـحـجـاجـ، سـوـىـ غـيرـهـمـ وـهـذـاـ

(١) هي المرأة التي أرسل معها حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم فيها بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوـمـهـ ليـتـخـذـ عـنـهـ يـدـاـ، وفي ذلك نـزـلـتـ الآيات الأولى من سورة المـعـتـنـةـ، وروـضـةـ خـاخـ مـكـانـ بـيـنـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ. والعـاقـصـ هوـ الشـعـرـ المـضـفـرـ، وـانـظـرـ: صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ: ٣٩٨٣ـ وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ: ٢٤٩٤ـ وـتـقـسـيرـ اـبـنـ كـثـيرـ .٣٤٤/٤

مُصرّح به في صحيح البخاري وغيره.<sup>١</sup>  
 ودعا، صلى الله عليه وسلم ، أن يُعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب أو أبي جهل ، فأعزه الله بعمر رضي الله عنه ، ودعا على سُرَاقة بن مالك فارتقطمت به فرسه في جَلْدٍ من الأرض وساخت قوائمها فيها ، فناداه بالأمان وسأله الدعاء له ، ودعا علني أن يذهب الله عنه الحر والبرد ، فلم يكن يجد حرًا وبردًا ، ودعا لخديفة ليلة بعثة يأتي بخبر الأحزاب لا يجد برداً ، فلم يجده حتى رجع ، ودعا لابن عباس أن يُفَقِّهَ الله في الدين ، فكان كذلك ، ودعا على عُتبة بن أبي لهب أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه فقتله الأسد بالزرقاء.

ودعا بنزل المطر حين سأله ذلك (القطط) المطر ، ولم يكن في السماء قزعة ، فشار سحاب أمثال الجبال ، ومطروا إلى الجمعة الأخرى حتى (سأله برفقه) فدعاه فارتفع وخرجوا يمشون في الشمس ، ودعا لأبي طلحة وامرأته أم سليم أن يبارك الله لهما في ليتهما ، فكان كذلك ، فحملت فولدت عبد الله ، فكان من أولاده تسعه كُلُّهم علماء ، ودعا لأم أبي هريرة رضي الله عنها بالهدایة فذهب أبو هريرة فوجدها تغسل وقد أسلمت ، ودعا لأم قيس بنت محسن أخت عكاشه بطول العمر ، فلم نعلم امرأة عمرت ما عُمرت رواه النسائي في باب غسل الميت.

ورمى الكفار يوم حنين بقبضة من تراب ، وقال : "شاهدت الوجه" . فهزهم الله - تعالى - وامتلأت أعينهم تراباً ، وخرج على

(١) انظر: صحيح البخاري: ١٩٨٢ وشرح الحديث معه في الفتح.

مئة من قريش يتظرونه ليفعلوا به مكروهاً، فوضع التراب على رؤوسهم ومضى ولم يروه.

**أفراسٌ ودوايَّه وسلاحة صلٰى الله علٰيهِ وسلٰمٌ**

كان لرسول الله صلٰى الله علٰيهِ وسلٰمٌ ، **أفراسٌ :**  
فأول فرس ملكه : **السَّكْبُ** (فتح السين المهملة وإسكان الكاف  
(بالموحدة). وكان أَغْرَى مَحَاجِلاً. طلق (اليمين). وهو أول فرس غزا  
عليه.

وفرس آخر يقال له (سبحة) وهو الذي سبق عليه فسبق.  
وفرس آخر يقال له : **المرتجز**، وهو الذي اشتراه من  
الأعرابي الذي شهد له به خُزيمة بن ثابت.

وقال سهل بن سعد : كان لرسول الله صلٰى الله علٰيهِ وسلٰمٌ  
، ثلاثة أفراس : لزار - بكسر اللام وبزياءين - والظرب - بفتح الظاء  
المعجمة وكسر الراء ، واللحيف - بضم اللام وفتح الحاء المهملة :  
وقيل بالمعجمة ، وقيل : النحيف . بالنون.

فاما لزار فأهداه له المقوس ، واللحيف أهداه له ربيعة بن  
أبي البراء ، فأثابه عليه فرائض ، والظرب أهداه له فروة بن عمرو  
الجذامي.

وكان له فرس يقال له : **الورَدُ** ، أهداه له قتيم الداري ثم  
وحبه لعمر ، ثم وحبه عمر لرجل ، ثم وجده يُباع .  
وكان له صلٰى الله علٰيهِ وسلٰمٌ ، بغلته دُلُلٌ . بضم الدالين  
المهملتين - يركبها في الأسفار ، وعاشت بعده ، صلٰى الله علٰيهِ

(١) سمي بذلك لسرعته ، فإن الفرس إذا كان ح悱يف الجري فهو سكب.

وسلم ، حتى كبرت وذهبت أسنانها ، وكان يجش لها الشعير ،  
وماتت بسبعين ، وروينا في تاريخ دمشق من طرق أنها بقيت حتى  
قاتل عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته الخوارج .  
وكان له صلى الله عليه وسلم ، ناقته العَضْباء ، ويقال له .  
أيضاً : الجَدْعَاء والقصواء ، هكذا رُوينا عن محمد بن إبراهيم  
التييمي أن هذه الأسماء الثلاثة لناقة واحدة ، وكذا قاله غيره ،  
وقيل : هَنَّ ثلَاث .

وكان له حمار يقال له : عَفِير - بضم العين المهملة - . وفتح الفاء -  
وذكره القاضي عياض بالغين المعجمة ، واتفقوا على تغليطه في ذلك  
مات عفير في حجة الوداع .

وكان له في وقت عشرون لِقْحة ومائة شاة ، وثلاثة أرماح  
وثلاثة أقواس : وستة أسياف ، منها : ذو الفقار ، تنفله يوم بدر  
وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، ودرعان وترس ، وخاتم ،  
وقدح غليظ من خشب ورایة سوداء مربعة من ثمرة ، ولواء  
أبيض ، وروي : أسود .

واعلم أن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وسيره ، وما أكرمه الله - تعالى - به ، وما أفضله على العالمين من  
آثاره صلى الله عليه وسلم ، غير (منحصرة) ولا يمكن  
استقصاؤها ، لا سيما في هذا الكتاب الموضوع للإشارة إلى تبذل من  
عيون الأسماء وما يتعلق بها ، وفيما ذكرته تنبية على ما تركته ،  
ولأن مقصودي تشريف الكتاب بتصدير بعض أحوال رسول الله  
في أوله .

وقد حصل ذلك والله الحمد، وكيف لا يشرف كتاب صدر بأحوال الرسول المصطفى، صلى الله عليه وسلم ، والخبيب المحببى ، خيرة العالم، وخاتم النبيين ، إمام المستقين ، وسيد المرسلين ، هادي الأمة ، ونبي الرحمة ، صلى الله عليه وسلم ، وزاده فضلاً وشرفاً لديه ، والحمد لله رب العالمين.



## القسم الثاني

- مولد الرسول صلى الله عليه وسلم
- هو مولد الإنسانية
- أسوة كاملة خالدة للإنسانية
- وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
- نبي الرحمة والإحسان
- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
- رسول الهدى والعلم
- جوانب الرحمة والعفو في السيرة النبوية
- وأهمية عرضها بأسلوب علمي معاصر

## مولد الرسول صلى الله عليه وسلم هو مولد الإنسانية

وصف أحد المؤرخين العالم قبلبعثة النبي عليه وسلامة بأنه كان مثخناً بالجروح، ووصف الروم والفرس بشورين جريحين، بجراء الحروب الضاربة التي كانت لا تقطع، وكانت هذه الحروب تسبب دماراً شاملاً، مثل النار التي تأكل كل شيء، وقد وقعت حربان في أوائل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأشار القرآن الكريم إلى الحربين بقوله: **«الْمَ، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَذْنِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غُلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي يَضْعُفِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعَزِيزُ الرَّحِيمِ»** [الروم: ٥-١]، وقد ذكرت كتب التفسير تفصيلاً للحرب التي انتصر فيها الفرس، وما سببته من قتل ودمار، ثم وقعت الحرب التي انتصر فيها الروم على الفرس، وانعكست الصورة في تسع سنين .

كانت هذه الحروب تؤدي إلى خسائر واسعة في الأرواح والممتلكات، خسائر في الأرواح في العمليات الحربية، ثم في أعمال النهب والسلب والقتل التي كان يرتكبها المنتصرون في الحرب، وكانت منطقة الشام أكثر المناطق تأثراً بالعراق بين الفرس والروم، وهذه الحرب التي أشارت إليها الآية القرآنية **«فِي أَذْنِي**

الأرض) كانت ساحتها الشام كما يرى المؤرخون، وتعرضت المنطقة التي فتحها الروم، للفساد العام، ولم تكن هاتان الحربان حادثتين منعزلتين، كانت هذه الحروب مثل الألعاب الرياضية التي تجري في فترات غير طويلة، يذهب ضحيتها مئات الآلوف من الناس بالإضافة إلى التدمير، وأسر الضعفاء، واسترقاق الأقواء المهزومين .

كان ذلك من عادة الغزاة في العصور الماضية، وقد أشير إلى هذه الطبيعة للغزاة في الآية القرآنية «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَأَهُنَّا أَذْلَهُ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» [النمل : ٣٤]. ولا يشتبه من هذه العادة إلا الغزاة المسلمين الذين سجلوا مثالاً جديداً للغفو العام لدى فتح مكة .

وبالإضافة إلى هذه الحروب الدامية التي كان العالم كله ساحة لها، يغير فيها القوي على الضعيف، كان الإنسان رغم حريته مستعبدًا، يستعبده رجال الدين المحترفون الذين كانوا يحرفون تعاليم أديانهم لتطابق هو لهم، ويستعبده أصحاب رؤوس الأموال، ويستعبده الزعماء والقادة ورؤساء القبائل، وإليه أشار الصحابي الجليل ريعي بن عامر أمام رستم : "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

كان علم الدين الذي كان يحتكره رجال معينون وملك المال الذي كان أيضاً محصوراً في أيدي خاصة، وحيازة القوة، والسلطة، وسائل للاستغلال، والبطش بمن لا يملك هذه الوسائل، وقد

وصف أحد المؤرخين الغربيين هذا العصر بقوله :

"لقد أطبق على أوروبا ليل حالف من القرن الخامس إلى القرن العاشر، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسوانداً، وقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولاً وأفظع من همجية العهد القديم، لأنها كانتأشبه بموجة حضارة كبيرة قد تعافت، وقد انطمست معالم هذه الحضارة، وقضى عليها بالزوال، وقد كانت الأقطار الكبيرة التي ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها في الماضي كإيطاليا وفرنسا، فريسة الدمار والفووضى والخراب<sup>١</sup>.

وكانت أوروبا الغربية أسوأ حالاً منه، فيقول أحد المؤرخين البروفيسور شيلي في كتابه : "تاريخ الفلسفة" :

"لعل القرنين السابع والثامن كانوا أظلم عهد في تاريخ حضارة أوروبا الغربية، إنه كان عهد ببرية وجهالة لا نهاية لهما، غمرت فظائعهما وأعمال تدميرها جميع المنجزات الأدبية والجمالية للعهد الماضي الكلاسيكي".

ويقول درير:

"يصعب القول عن سكان أوروبا القدماء بأنهم تجاوزوا مرحلة البربرية والوحشية، فقد كانت أجسامهم قدرة، وأخيلتهم مفعمة بالأوهام، يؤمنون إيماناً راسخاً بكل ما ينقل من الأساطير والحكايات التافهة التي لا أساس لها عن كرامات الضرائح، ودعاوي القدسية المزعومة".<sup>٢</sup>

ROBERT BRIFFAULT : THE MAKING OF THE HUMANITY. P.164<sup>١</sup>

نقلاً عن كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" للشيخ أبي الحسن الندوبي، ص: ٧٣.  
 (٢) مَاذَا خسَرَ الْعَالَمُ بِانْهُطَاطِ الْمُسْلِمِينَ لِلشِّيخِ النَّدُوِيِّ ص: ٧٤ ، المجمع العلمي الإسلامي لكتاف، (المهند) ٢٠٠٨ م.

بالإضافة إلى انتشار الجهل ، والفقر ، والبؤس ، والشقاء ، في الأغلبية الساحقة ، واستغلال نفوس عديدة لهذه الحالة البائسة ، كان الإنسان أقل قدرًا وقيمة من الحيوانات ، وقد ذكر بعض المؤرخين وضع الحياة في ذلك العصر في كثير من الدول الأوروبية ، أن الإنسان كان يعيش بجانب حيوان ، وكان يعامل معه معاملة الحيوانات وخاصة أسرى الحروب ، فقد كانوا وسيلة لتسليمة النفس .

لقد كان ثمن شهوة فرد واحد وهو شخص واحد أكثر وأغنى من أرواح الآلاف ومئات الآلاف من البشر ، ينهض ملك واحد وإمبراطور واحد فيكتسح البلاد ، وبهلك الحرف والنسل ، ويأتي على الأخضر واليابس لإشعاع أناانية ملكية أو طموح سياسي .  
لقد عرف العرب بالصراعات والحروب ، والغارات وفاحروا بها في شعرهم ، لكن حروبهم وغاراتهم كانت محدودة في إلحاق الخسائر والتدمير بالنسبة للحروب التي كانت تجري بين أصحاب الحضارات العالمية من الفرس والروم ، وكان الإنسان أقل قيمة ووزناً مما كان عليه لدى العرب ، فقد كان العرب يفاحرون بالإباء والاعتزاد بالنفس ، والغيرة والشهامة ، وكانت هذه الحمية والغيرة الزائد هي التي كانت تجلب لهم مصائب وويلات .

كان من مآثر البعثة الحمدية إقرار المثل الخلقية وإثبات كرامة الإنسان مهما كان نوعه وطبقته ، وأصله وجنسه ، وعلمه ووضعه الاقتصادي ، وقد صرخ بذلك القرآن الكريم (ولَقَدْ كَرِمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنِ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى

كثيرٌ مِّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» [الإسراء: ٧٠]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الخلق عيال الله وأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".

إن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إكرام الإنسان لكونه أشرف المخلوقات، مهما كان وطنه أو جنسه، أو عقيدته، وعدم التمييز بين إنسان وإنسان، التي اختارتها دساتير دول العالم المتحضر اليوم، تجلّى من إعلانه الصريح الذي لا قيد فيه ولا شرط، ولم يستخدم فيه خطاب المسلمين أو المؤمنين بل، استخدم فيه تعبير الناس وهو تعبير عام يدخل فيه سائر أنواع الجنس البشري فقال:

"يا أيها الناس إن ربكم واحد، وأبوبكم واحد، كلّكم من آدم، وأدّم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتفوّي".

وكان هذا الخطاب أمام العرب، والعرب معروفوون بالتفاخر بالأنساب، واعتزازهم بعروبتهم، وكان عدد غير العرب في المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت محدوداً، فقال لإزالة الفروق وعوامل التمييز العنصرية "لا فضل لعربي على عجمي".

وبهذا الإعلان تنهار القوميات والعصبيات والعنجهيات التي تفرق الإنسان عن غيره، وتضع خطوطاً وحدوداً بين أفراد المجتمع الإنساني، وكان إعلان الرسول صلى الله عليه وسلم بالمساواة في

ضوء ما ورد في القرآن الكريم **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ يَهُوَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)** [النساء : ١].

وقد أبرزت هذه الآية الحقوق بين أفراد المجتمع ورعايتها والتسامح في ممارستها، ومثل هذه الإشارة إلى كون سائر طبقات الإنسان من أب واحد، وكونهم أسرة واحدة وردت آية أخرى تقول **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُونَّا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَانَّاكمْ)** [الحجرات : ١٣]. وفيها إشارة وتوضيح إلى أن الشعوب والقبائل القائمة التي ينتهي إليها المنحدرون منها ليست للعصبيات، وإنما هي للتعرف والنظام، والنظام يقتضي توزيع الأشياء ووضعها في مواضعها.

كذلك رفع الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة العلم والتفكير، والتقدير، وقد أكدت على أهمية هذه العناصر التي كانت مفقودة في ذلك العصر آيات كثيرة، وحثت على السياحة في الأرض، والالتقاء بأفراد المجتمعات الأخرى، والاستفادة والإفادة، والاعتزاز والاعتبار بما لقيته الأمم السابقة من عواقب ضلالها، والتذير في آيات الله، وهي كثيرة منبثقة في الكون، وحث الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً على كسب العلم وتوسيع المعرفة، واتخاذ وسائل نشر العلم، ولذلك ارتبطت العبادة في الإسلام بالعلم، وغلب الشغف بالعلم، وأقبل المسلمون عليه إقبالاً عاماً حتى أصبح سمة المجتمع الإسلامي، وقد أشار إليه مؤرخ أوربي

يإنه في الوقت الذي كانت تنتشر مكتبات في القرى والمدن الإسلامية كان البحث عن كتاب في باريس ولندن عملاً مستعصياً، وكانت الكنيسة قد فرضت الحظر على العلم والتفكير بحرية، وقامت بمعاقبة من فكر ودبر، وأمرت بإحراء العلماء وهم أحياء.

وأي مثال يكون أوضح لإزالة الفوارق بين أفراد الجنس البشري من كون المالك ، والرقيق والموالي ، ملوكاً خضعت لهم رقاب الأشراف في النسب ، وصاروا مراجع في العلم ، ودانت لهم الطبقات الرفيعة ، ويجد الباحث في التاريخ قائمة طويلة لأسماء أمثال هؤلاء الملوك ، والأمراء ، والعلماء والحكماء .

كان نظام الحكم في فارس والروم ، وأماكن أخرى في العالم استبداً ، لا يتجرأ حتى أقرب أعوان الملوك على أن يعبروا عن آرائهم ، أو يخالفوا رأي الملك ، فأباح الإسلام للخاصة والعامة حرية التعبير ، وذكر القرآن الكريم هذه السمة بقوله ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه ، وخلفاؤه كانوا يتشاورون فيما بينهم ، وكان قتل النفس عاماً ، ففرض الإسلام القصاص ، وجاء في القرآن الكريم ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾ [البقرة : ١٧٩] ، ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة : ٣٢] ، ولو وضع حد للقتل والفساد ففرض القصاص والديمة ، وليس في تنفيذ هذا الأمر استثناء للحاكم والمحكوم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينصح أصحابه

عندما كان يرسلهم ليتولوا الإمارة أن يتقووا دعوة المظلوم، فنصح معاذ بن جبل لدى توليته اليمن فقال : "اتق دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب".

وقد حدّث الرسول صلى الله عليه وسلم على حسن الجوار وأكده عليه ، فروي البخاري عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال : "والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله ! قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه".

وفي الرفق بالحيوانات روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "قال رسول الله صلی الله عليه وسلم بينما كلب يطيف بيثر قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فسقته إياه ، فغفر لها بذلك".

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال : عذبت إمرأة في هرة ربطتها حتى ماتت فدخلت النار ، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبسها ، ولا هي تركتها تأكل من حشائش الأرض".

وقيل لرسول الله صلی الله عليه وسلم يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً ، فقال "في كل كبد رطبة أجراً يعني في الإحسان إلى كل ذي روح وحياة أجراً".

هذه هي بعض الجوانب من التعاليم الإنسانية التي تتعلق بالحياة الإنسانية وهي كثيرة منتشرة في كتب السيرة .

وكيف يكون المجتمع الذي لا تباغض فيه ولا تحاسد ولا

سخرية ولا إيذاء، بل يسوده التعاون، والتسامح، والاحترام، والقناعة، والإيثار، والمحبة، والرحمة، والعلم، وابتعاء رضوان الله، والتشاور بين الحاكم والمحكوم، والمساواة بين مختلف أجناس البشر، واحترام الأديان، ونشر المعروف بين الناس، إنه هو المجتمع المثالي المطلوب في كل زمان ومكان.

إن مآثر الرسول صلى الله عليه وسلم على الإنسانية كلها كثيرة لا تعد ولا تحصى، وإن العالم المتحضر يدين كثيراً لتعاليمه في ميادين كثيرة، وقد وصفه القرآن الكريم برحمة للعالمين، وستستمر مآثره وتأثيرها على مسير العالم، وسيبقى العالم مديناً له، وقد بعث في حالة احتضار الإنسانية، ولذلك بقاء هذه الإنسانية أيضاً مدين له، وبهذا الاعتبار ربيع الأول الذي يحتفل به المسلمون في سائر أنحاء العالم ويذكرون فيه تعاليمه وفضله ومنتها، كان جديراً بأن يحتفل به العالم كله، لأن فضله عام على الإنسانية كلها.

## أُسْوَةٌ كَامِلَةٌ خَالِدَةٌ لِلنِّسَانِيَّةِ

شهد التاريخ الإنساني في محمد صلى الله عليه وسلم شخصية لم يعهد مثلها من قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم تكن هذه الشخصية كالقادة الآخرين الذين تختص جهودهم زماناً ومكاناً وعهداً خاصاً من العهود، ورسالتهم تتقييد بأمة وبظروف خاصة، وكانت رسالته للإنسانية كلها ، ولكل عصر إلى يوم القيمة.

فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم منقذ الإنسانية كلها ، ورحمة للعالمين ، وأُسْوَةٌ حسنة لسائر العصور ، وأفراد المجتمع البشري ، وكانت شريعته تلائم فطرة الإنسان .

فقد كانت الشرائع والفلسفات الإنسانية قد فقدت أصالتها وصلاحيتها لحل قضايا الإنسان ، **«هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَنْهَا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»** [سورة الجمعة : ٢] وقال :

**«وَكُثُّشُمْ عَلَى شَقَّا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَدْتُكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ»** [آل عمران : ١٠٣] في حين كانت القوى البشرية الهدامة تعبحث بالكنوز البشرية وتستغلها كالوقود لخدمة مطامعها ، وتغيرت بها معايير الإنسانية ، وسادت الأرض الفوضوية

والبهجية، وانهزمت النفس الإنسانية أمام الشهوات والأهواء، وقد الضمير البشري حيويته في صدر الإنسان ولم يكن للحق صوت يدوي وللهدى أمل يرجى ، يأكل القوي الضعيف ولا يترحم عليه ، ويزدرد الغني الفقير ولا يرثى له ، حقاً أن التاريخ قد عهد أعظم شخصية إنسانية ، شهد بطلاً لا يعادله بطل ، ومحباً للإنسانية رؤفاً بها ، سحر النفوس ، من رأه بديهية هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : "لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم ". كانت سيرته صلى الله عليه وسلم تتسم بجانب كبير من الذين ، ترى الرفق يتجلّى في حياته كلها ، كان يواجه كل أحد صرفاً للنظر عما إذا كان الرجل صديقاً له أو عدواً جانياً ، كان أعداؤه يخرجون لقلته ويرجعون وفي قلوبهم محبة له وشوق إلى حديثه وإيثار له على أنفسهم ، وعاطفة لتحمل كل ما يصيّهم من المصائب والبلايا في سبيله مسحورين مأخوذين من الجلال والرحمة البالغة الآخر ، لم يكن يجوزي عدوه بمثل ما يعامله ، ولا بأقل من ذلك ، بل كان يغفو عنه يستغفر له "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" إن كل ما ناله في الطائف يكفي مثالاً لحمله وصبره .

تصور المعاملة القاسية التي لاقتها من قريش وما بادلته من القسوة والجفاء ، وأضف إليها المواجهة التي تلقاها ، والرد العنيف الذي صادفه ، والجو المكفر الذي واجهه ، والذكريات العابضة المتقطبة من مكة ماثلة بعينه ، تصور كل هذا وانظر تجاوب مشاعر هذه النفس العظيمة لكل ذاك فقد أبى أن يعزب أهل الطائف جزاء لمعاملتهم الشنيعة وصدتهم العنيف عن الدين الإسلامي .

وفي أحد لما كسرت رباعيته فلم تتحرك شفتها إلا ليقول  
اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون".

ويوم الفتح إذ انتشر الإسلام وكانت له الكلمة العليا،  
وصارت مكة تحت رعايته، فكان في استطاعته أن يعامل أعداءه  
السجانون المفتوحين، ويستعمل العنف والشدة ضد المردة الذين  
بذلوا كل ما كان في وسعهم في خلق التعويقات والصعوبات في  
سبيل انتشار الدين الإسلامي، فلم يصدر من محكمة النبوة أي  
حكم ضدهم إلا "اذهبا فأنتم الطلقاء" إن التاريخ لم يعهد مثل  
هذا القضاء إلا في عهد سيدنا يوسف عليه السلام حين التقى  
بوالديه وإخوته بعد مدة طويلة فقال لإخوته وهم الذين كانوا  
أقوى في غيابة الجب وأتوا إلى أبيهم بدم كذب فلم يقل لهم  
يوسف عليه السلام شيئاً إلا «لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ  
لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» [سورة يوسف: ٩٢].

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجف أحداً لنفسه ولم  
يظلمه في حياته . وفيه يقول القرآن **«وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيظَ الْقُلُوبَ**  
**لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ»** [سورة آل عمران: ١٥٩] ويقول **«لَقَدْ جَاءَكُمْ**  
**رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ**  
**رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»** [التوبه: ١٢٨] كان يصفح عنمن يوذيه ولا يعاقب  
أحداً ولا يأخذ إلا إذا تعدى الحق فإذا لم يكن يقوم لغضبه شيء  
حتى أن الصعاليك كانوا يرهقونه إلهاقاً في السؤال فلا يعنف ولا  
يقول لهم قولًا يسألهم ، ويردهم ردًا حسناً ، وأحياناً كانوا يدفعونه  
إلى السمرة فلم يكن يقول لهم إلا قولًا كريماً ، لم يضرب خادماً ،

ولا عبداً قط ولم ينهر، كان حديثه حديث علم وحياة ومحبة وإخاء، يقوم ويجلس على ذكر، يؤلف الناس ولا ينفرهم ويلقي في قلوبهم الحبّة والصدقة والعطف، كان أصحابه بسبب محنته وعطفه يؤثرونـه على آبائهم ولا يتحملون مهاجرته .

بهذه الحياة السليمة الرحيمة القوية ظهر النبي الأمي بين الناس حاملاً مشعل النور وعلم الهدى ينادي بحقوق الإنسان وهو الذي أذن في الناس "كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالقوى" وأبلغهم قول الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] .

ولقد شهد بفضله صلى الله عليه وسلم بعض الكتاب المصنفين الغربيين ، يقول المفكر الفرنسي لامرتين :

"إذا كانت الضوابط التي تقيس بها عقرية الإنسان هي سمو الغاية والتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيّاً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد في عقربيته؟ فهو لاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات فلم يجنوا إلا أحجاراً بالية لم تثبت أن تحطمـت بين ظهرانيـهم ، لكن هذا الرجل مـحمدـاً لم يـقدـ الجـيوـشـ وـيسـنـ التشـريعـاتـ وـيقـمـ الإـمـبرـاطـورـياتـ وـيـحـكـمـ الشـعـوبـ وـيـرـوـضـ الـحكـامـ فقطـ ، وإنـماـ قـادـ المـلاـيـنـ منـ النـاسـ فـيـماـ كـانـ يـعـدـ ثـلـثـ الـعـالـمـ حينـذـ ، ليسـ هـذـاـ فـقـطـ ، بلـ إـنـهـ قـضـىـ عـلـىـ الـأـنـصـابـ وـالـأـزـلـامـ وـالـأـدـيـانـ وـالـأـفـكـارـ وـالـمـعـقـدـاتـ الـبـاطـلـةـ .. إـلـىـ أـنـ يـقـوـلـ .. بـالـنـظـرـ لـكـلـ مـقـايـسـ الـعـظـمـةـ الـبـشـرـيةـ ، أـوـدـ أـنـ أـتـسـأـلـ : هـلـ هـنـاكـ أـعـظـمـ مـنـ النـبـيـ مـحـمـدـ؟"

ويقول مايكل هارت في كتابه "مائة رجل من التاريخ" : "إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين : الديني والدنيوي.

ظهر في أحط بقاع الأرض خلقياً وعانياً واعتقادياً فناضل أشد نضال وكافح أشد كفاح ضد الفوضى البشرية فكانت دعوته عامة للبشرية جموعاً ، فاسترد لها سؤدها ، وكفل للأنسانية كرامتها ، وأنشا جيلاً حديثاً فاضلاً ، انتشر في العالم وناشد النظم الجارية وحفظ للإنسانية حقوقها".

ومن مآثره الخالدة - صلى الله عليه وسلم - :

١. عقيدة التوحيد النقية الواضحة.
٢. مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية.
٣. إعلان كرامة الإنسان وسموه.
٤. رد الاعتبار إلى المرأة ومنحها حقوقها وحظوظها.
٥. محاربة اليأس والتشاؤم، ويعث الأمل والرجاء والثقة والاعتزاز في نفس الإنسان.
٦. الجمع بين الدين والدنيا، وتوحيد الصفواف المتنافرة، والمعسكرات المتحاربة
٧. إيجاد الرباط المقدس الدائم بين الدين والدنيا ، وربط مصير أحدهما بالآخر ، وتفخيم شأن العلم والحدث عليه ، وتوجيهه إلى علم هادف نافع موصى إلى الله .
٨. استخدام العقل والانتفاع به حتى في القضايا الدينية ، والحدث

على النظر في الأنفس والأفاق .

٩. حمل الأمة الإسلامية على قبول مسئولية الوصاية على العالم والحسبة على الأخلاق والاتجاهات وسلوك الأفراد والأمم، وتحمل مسئولية القيام بالقسط والشهادة لله ، والوحدة العقائدية الحضارية العالمية.

كان كل صحابي من أصحابه . صلى الله عليه وسلم .  
 مثلاً كاملاً لنبיהם الكريم ، توفي محمد صلى الله عليه وسلم فقام خليفته ورفيقه في الغار سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتکفل تدعيم بناءه وتخليل ذكره مستعيناً بالله ، وخلفه سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فأقام العدل واستقام به أمر المسلمين وسادت هيبتهم على الأعداء رغم تقوضه وزهده ، وخير مثال عليه قصة دخوله في القدس ، فلم يدخل كفاتح ، وإنما دخل كعبد متضرع خاشع لله وإيمانه ، أن الله أعزه بالإسلام ، ولا عزة إلا بالإسلام ، وكان كل صحابي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثلاً كما جاء في الحديث الشريف : " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم " ، وذلك دليل أكبر على كمال تربيته فلم يزل الإسلام يتقدم ويتقدم حتى سطع نوره في جميع أنحاء العالم ، وبلغت أشعته إلى كل بقعة من الأرض فبلغت دعوة الإسلام إلى جميع أنحاء العالم وهي " الاستسلام للخالق الذي خلق الأرض والسموات ، وصور الخلق في أحسن صورة ، وفضل الإنسان على المخلوقات الأخرى وسخر له الشمس والقمر والدواب ووهبه من نوره ما يهتمي به في الظلمات . وانتشر أصحابه حاملين للرسالة

الإسلامية ديناً ومنهجاً للحياة، يقتدى بهم ويهتدى بهم .

إن أعظم شيء يمتاز به الإسلام ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم هو أن دعوته تعم جميع مقتضيات الحياة البشرية فكما تعالج العبادة والرجوع إلى الله توحد ما في جميع الأديان من خير، وتعجب الأنبياء وتجمع جميع متبوعي الأديان المختلفة على رصيف واحد، وتجعلهم فئة متآلفة واحدة، فإن دعوته تعالج مشاكل أخرى تتعلق بأية ناحية من الحياة، وهي الدعوة الوحيدة التي لا تميز بين الزهد وتزكية النفس، وبين الرقى المادي والانتفاع بنعم الله على الأرض.

إن مناسبة المولد النبي مناسبة لتجديد العهد للتمسك بتعاليم هذا النبي العظيم وتطبيقها في الحياة وتنقية الحياة من كل شائبة ونقص لا يطابق مع سيرة هذا القائد العظيم، والذي وصفه القرآن برحمة للعالمين .

## وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

كان الوصف الذي أجمع عليه الوصافون، والصفة المختارة التي اتفق عليها الناعتون للحياة المباركة سيرة الرسول الكريم المطهرة، غلبة عنصر "الرحمة والرأفة" في طبيعته وسلوكه والعفو والصفح حتى في أخرج الأوضاع، وأسوأ الأحوال، وقد خصه القرآن الكريم وهو خير من يصف خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقد أنزل عليه ﴿وَمَا يُنْطَقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ مُّوحَى﴾ (النجم: ٣-٤)، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: ٨٠) خصه القرآن الكريم بالرحمة ، فقال : ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّكُمْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُ فَطْأَ غَلِيلًا لَّأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاغْفِفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وقال في موضع : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبه: ١٢٨).

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، والسلوك بالصبر، وذلك في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمول: ١٠) ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٧) ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (غافر: ٧٧) ، ﴿فَاصْفَحْ

عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ》 [الزخرف: ٨٩] 《فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرَّسُولِ》 [الأحقاف: ٣٥] 《فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ》 [اق: ٣٩] 《فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ》 [القلم: ٤٨] 《فَاصْبِرْ صَبَرًا جَمِيلًا》 [القلم: ٣٩] ، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتربيث 《وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ》 [الكهف: ٢٩] 《وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّدِ رَبِّكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرُفُوهَا》 [النمل: ٩٣] 《وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ》 [المؤمنون: ١١٨] ومثل هذه الآيات كثيرة ، وردت في مواضع مختلفة ، وتدل هذه الآيات على أن الصفة الغالبة في طبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي سلوكه ، وتعاليمه هي الرأفة والرحمة والتأنى والصبر ، وقد ظهرت هذه الطبيعة والخلق في مواضع كثيرة بخلاف ووضوح في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ، وفي المدينة المنورة ، وظهرت هذه الطبيعة بوضوح وجلاء في الحديبية ، حيث قبل شروط الصلح ، وقد كان بوسعي أن يعامل معاملة القوة ، ويتخاذل الموقف الذي كان يميل إليه بعض كبار أصحابه ، وظهرت في الطائف حين آذاه المشركون ، وقد زارها بآمال كثيرة ، فواجهه السب والأذى حتى دميت قدماه ، وشكى إلى الله ضعف قوته ، وقلة حيلته ، وهو انه على الناس ، واستغفر ودعا دعاء المؤثر الذي تلين له القلوب ، استعاد فيه من عذاب الله وسخطه ، فجاء إليه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق الجبلين اللذين بينهما الطائف ، فقال قوله المؤثرة التي تكشف عن غاية الرحمة والرأفة "أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً".

والصبر والشفقة واللين من أساسيات الدعوة والإرشاد ،

والتربيَّة، فكان النبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير معلم ومرشد ومربٍ، تتوفَّرُ خلال الرحمة والغُفْرانِ فيه، وقد خصَّ القرآن الكريم كذلك بجانب الرحمة والصبر بالصفات التي يتصل بعضها ببعض في خصائص الشخصية ويعين بعضها البعض، ويكمِّل عناصر شخصية ذات رسالة خاصة، ومهمة خاصة فوصفه القرآن الكريم بالمعلم والمبشر، والداعي، والهادئ، والمُذكِّي، وسائر هذه الأوصاف لا تكتمل إلا بالصبر، والرحمة، والتسامح، واللين، فأمر بقوله **﴿إِذْ أَعْلَمُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [التحل: ١٢٥].

وجاء في موضع **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** [الأنياء: ١٠٧] وقد قرَنَ القرآنُ الكريَّمُ الدُّعَوةَ والإِنذارَ بالرَّأْفَةِ واللين **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَيْنَ ، وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾** [الشعراء: ٢١٤-٢١٧]

وفي موضع يحدد القرآن منهج التعليم والتربيَّة والعنابة فيها بجانب العطف، والرحمة، والشَّابَرَة، والأناة، فقال: **﴿وَلَا تَسْتُوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاؤَ كَانَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾** [حم السجدة: ٣٤-٣٥] وفي موضع يدعى النبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الاستقامة في الدُّعَوةِ **﴿لِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنَّتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لَا أَعْدِلَ يَسِّنُكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ يَبْتَدَا**

وَيَسْكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» [الشورى: ١٥]

وقد اجتمعت في طبيعة الدعوة والحياة والسلوك، التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم عناصر الصبر والاحتمال المكرور، والاستقامة، والثابرة، والرحمة، والرأفة، والعفو، في بدء الدعوة وعلى طول طريق الدعوة، وعند ما أثمرت الدعوة، وكان الفتح، وأقبلت الوفود، وتدفقت الأموال والغنائم، وتم تأسيس دولة إسلامية، احتفظ النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب التأليف والتبيير والتيسير، وجبر القلوب، والإقناع، والاستمالة النفسية، بدلاً من التنفير، والتشديد والكبت، والقهر والفرض، وكان هذا الموقف موقف الحنان، والعطف، الذي كان أكثر ظهوراً فيه من الأم الرؤم، أكبر عامل لإيجاد روح التفاني والاستماتة في قلوب أتباعه فشهد التاريخ أروع نماذج الحب والفاء.

في غزوة أحد، أثناء المخنة التي أصابت المسلمين وأصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم شاع أنه قتل، وانتهى أنس بن النضر إلى رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا وموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل ، وقال أنس رضي الله عنه وجدنا به يومئذ سبعين ضربة . فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببناته.

كان الصبر والرأفة والاستقامة، والثابرة أكبر عامل لانتصار الدعوة، وخلودها وغدوها، وقد آثر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب، وجعله ميزة حياته، وتعاليمه، ولما انتصر على الأعداء

وكان الفتح، كان العفو عند المقدرة، شعاره فأعلن «لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمْ يَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» يوسف: ٩٢.

لقد أتى إليه بأبي سفيان وهو أحد قادة أعداء مكة، وقد عدّة حروب، فلم يأمر بقتله، ولا أسره، وإنما اكتفى بعرض الدعوة عليه، ومنحه مهلة تفكير، فقال "ويحك يا أبي سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله" فرد أبو سفيان، قوله يوجز رسم شخصيته وعناصر تكوينها ، فقال "بأبي أنت وأمي" ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً بعد.

ووسع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو وتأمين السلامة دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، بعد أن تهيأت له الفرصة، وساد الهدوء، وانتقاد أهل مكة، وأسلم قادة الأعداء، الذين أخرجوه وأذوه، فلم ينتقم ولم يدخل كمتصر، وفتح، وإنما دخل واضعاً رأسه، تواضعًا لله، خاشعاً له، وأمر أصحابه أن لا يستخدمو السلاح إلا إذا واجهوا مقاومة، وأن يتركوا أقوال أهل مكة، وكلمه رجل يوم الفتح وأخذته الرعدة، فقال هون عليك إني لست بملك وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد .

وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علت روح الانتصار على بعض قادة المسلمين" فقال اليوم يوم الملحمة، فردّ الرسول الكريم ذلك القول وقال : "اليوم يوم المرحمة" وعندما سلم مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة قال : "اليوم يوم بر ووفاء". وفي أول خطاب له بعد أن تسلم المدينة، واستتب الأمر، أعلن إعلاناً خالداً لتكوين المجتمع الإسلامي ، الذي لا فضل فيه

لأحد على أحد، والحاكم فيه والمحكم سواء إلا بالحق، وهو البيان السياسي الخالد لتكوين مجتمع أو دولة، فقال : بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، يا معاشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء ، الناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا الآية **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُغُورًا وَقَبَائِلَ لِتَعْارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** [الحجرات : ١٣].

وصفه صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين لازموا صحبته في السراء والضراء ، فأجمعوا على جانب الرحمة والعفو في حياته ، فوصفتة السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : "كان خلقه القرآن" ويعني ذلك أن الخلق الأعلى الذي ذكره القرآن الكريم كان للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم صورة صادقة له ، ولمعرفة هذا الخلق يجب المقارنة بين المعيار الخلقي الذي يتبناه القرآن الكريم والسيرة المباركة ، يقول القرآن الكريم : **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمْمَيْنِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذُلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** سورة الجمعة : ٢٢ ، وقال : **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُّنِيرًا)** سورة الأحزاب : ٤٥-٤٦.

وقال : **(أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ يَمَنْ ضَلَالًَ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ)** سورة النحل : ١٢٥ ، وقال : **(وَاصْبِرْ وَمَا**

صَبِرُكَ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ<sup>﴿١٢٧﴾</sup> سورة التحل: ١٢٧، وهناك آيات كثيرة تدل على الأخلاق الفاضلة السامية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم متتصفاً بها وكانت حياته صورة صادقة لها.

وقد وصف خلقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أعرف الناس به وأكثرهم عشرة له، وأقدرهم على الوصف والبيان، فيقول:

"لم يكن فاحشاً متفحشاً، ولا صخباً في الأسواق، ولا يجذب السيدة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة، ما رأيته منتصرًا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء، فإذا انتهك من محارم الله تعالى كان من أشدهم غضباً، وما خير بين أمرین إلا اختار أيسرهما، (إذا دخل بيته) كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويجلب شاته ويخدم نفسه.

كان يخزن لسانه إلا فيما يعنیه، ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد منهم بشره، ولا خلقه، يفقد أصحابه ويسائل عما في الناس، ويسعد الحسن ويقويه، ويقيع القبيح ويوهيه، معتمد الأمر غير مختلف، ولا يغفل حفافة أن يغفلوا ويملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة، ومؤازرة، ولا يقوم ولا يجلس إلا على

ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، يعطي كل جلساً بنصيبيه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوذه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجته لم يرده إلا بها أو بيسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً، وصاروا عنه في الحق سواءً، مجلسه مجلس علم وحياة وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنشى فلتاته، متعادلين يتفضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمنون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويخفظون الغريب.

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب، ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤ sis منه ولا يجib فيه، قد ترك نفسه من ثلاثة: المراء والإكبار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساً كأنما على رؤوسهم الطير فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولئم، يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسائله، حتى ان كان أصحابه يستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة،

وأكرمهم عشيره، من رآه بديهه هابه ومن خالطه معرفة أحبه  
ويقول ناعته لم أر قبليه ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.  
وروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: إنما أنا عبد أكل  
كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد.

إن الحب والرحمة تكسب القلوب، وتوثر في النفوس،  
وقد أقر بذلك أشد أعدائه وتواترت الروايات في حب أصحابه  
له، وتفاديهم ما لم يعهد في تاريخ البشر في المحبة، ويدل على مثل  
هذا الحب ما رواه الإمام البخاري في أصح كتبه "الجامع الصحيح"  
في حديث طويل عن صلح الحدباء أن عروة جعل يرمي أصحاب  
النبي صلى الله عليه وسلم بعينه، وقال: فو الله ما تنخرم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم خاتمة إلا وقعت في كف رجل منهم،  
فذلك بها وجهه وجده وإذا أمرهم ابتدرروا أمره وإذا تووضاً كادوا  
يقتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما  
يمدون إليه النظر تعظيمًا له<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث أبي جحيفة في باب الشوب الأحمر: "رأيت  
بللاً أخذ وضوء رسول الله ورأيت الناس يتذرون ذلك  
الوضوء، فمن أصحاب منه شيئاً تمسح به، ومن لم يصب منه شيئاً  
أخذ من بلل صاحبه الخ"

وخير ما يدل على حب أصحابه له ما قاله زيد بن الدثنة  
رضي الله عنه حين قدم ليقتل وسألته أبو سفيان: أنسدك الله يا زيد  
أتحب أن حمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في

(١) مقتبس من الشعائيل للترمذى.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنني جالس في أهلي، قال: يقول أبو سفيان: أرأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمداً؟

نزع أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في غزوة أحد إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته، ونزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

وتترس أبو دجانة رضي الله عنه بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع النبل في ظهره، وهو منحن عليه حتىكثر فيه النبل.

ورمى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويناوله النبي صلى الله عليه وسلم النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي.

وأصيخت عين قتادة رضي الله عنه حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما.

وقصده المشركون يوم أحد يريدون ما يأبه الله فحال دونه نفر نحو عشرة حتى قتلوا عن آخرهم وجادلهم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وترس عليه بيده، يقي بها النبي صلى الله عليه وسلم فأصيقت أنامله وشلت يده وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلو صخرة هنالك فلم يستطع لما به من الجراح والضعف، فجلس طلحة تحته حتى صعدها.

عاد المسلمون إلى المدينة من أحد، فمرروا بامرأة من بنى دينار أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نعوالها، قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو محمد الله كما تحبين ، قالت أرونيه حتى أنظر إليه فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : "كل مصيبة بعدك جلل" <sup>١</sup>.

وكان من أثر هذه المحبة أنه لما مات صلى الله عليه وسلم طاشت العقول ، فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ، فلم يطق القيام ، ومنهم من أخرس ، فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضنى ، وكان عمر من خبل ، وكان عثمان من أخرس ، يذهب ويحيي ، ولا يستطيع كلاماً ، وكان علي من أقعد فلم يستطع حراكاً ، وكان أثبthem أبو بكر ، جاء وعيناه تهملان ، وزفاته تردد ، وتتصاعد وترتفع . كما يحكيه صاحب المawahب اللدنية . وأمثال مثل هذه المحبة الغامرة للرسول صلى الله عليه وسلم ساطعة لامعة متوافرة ، تدل على أن أصحابه وصلوا في حب الرسول صلى الله عليه وسلم غاية ما وراءها غاية .

#### التعامل مع غير المسلمين

قد منح الرسول صلى الله عليه وسلم غير المسلمين في دار الإسلام جميع حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فكفل لهم حرية التصرفات والمعاملات كأفراد المسلمين ، ولما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أخلاط : منهم المسلمون ومنهم المشركون ومنهم اليهود ، فأراد الرسول ﷺ حين قدم استصلاحهم

(٢) السيرة النبوية / للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي ص: ٢٣٥ - ٢٣٩

وموادعتهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشركاً والرجل مسلماً وأخوه مشركاً، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم الرسول صلى الله عليه وسلم يؤذونه وأصحابه أشد الأذاء، فأمر الله تعالى نبيه والمسلمين بالصبر على ذلك ، والعفو عنهم، وفيهم أنزل الله تعالى **﴿تَبَلُّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَا تَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أَوْثَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدْدَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُو وَتَتَقْوَى فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمُو﴾** [آل عمران: ١٨٦]. وفيهم أنزل الله **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوْا وَاصْفَحُوْا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ يَأْمُرُهُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [سورة البقرة: ١٠٩] فوادع الرسول صلى الله عليه وسلم وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم.

فقد وفى بما عاهدهم عليه و מדّ يده إلى اليهود مصافحاً وتحمّل الأذى مسامحاً، ولم يجئه الرسول صلى الله عليه وسلم للقوة إلا بعد أن ظهرت بواط الغدر والخيانة منهم المرة تلو المرة، كما هو مسطور في كتب السير والتاريخ، فهكذا كان تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين، فمن سالمه عاش في وئام، وصار متمنعاً بما يتمتع به المسلمون من أمن وبر وصلة. لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً وأسوة في كل مرحلة من مراحل الحياة الفردية والاجتماعية، والدعوية في مرحلة الكفاح، وتحمّل الأذى في سبيله، وفي مرحلة بناء المجتمع الإسلامي، وتأسيس الدولة الإسلامية، وتجلّت في

سائر هذه المراحل في السراء والضراء، وحين البأس، وفي مواضع الضعف والقدرة، العواطف الإنسانية، وجوانب الرحمة، والعفو، وقد تجلت هذه الجوانب في حياته العملية، كما تجلت في مشاعره وعواطفه، وخير ما يدل عليه أدعيته التي كان يكثر منها، وهي تعبر عن مختلجمات صدره، ومشاعر قلبه، وكان في حياته العامة والخاصة خاشعاً لله، منيأً إليه، ورؤفاً رحيمًا مع أصحابه، ومع كل من اتصل به، وإن جاء إليه وهو يضمري كيداً، أو حقداً، أو جرعة، فكان في سائر هذه الأحوال كما قال أبو سفيان : "ما أكرمك، ما أرحمك، ما أوصلك".

كان الرسول ﷺ رمزاً للحب والرقة مع أهله وأصحابه ومع الصغار ومع أهل الفضل، ينزل الناس منازلهم، ويرحم الصغير، ويكرم الكبير، وكذلك كان يأمر أصحابه، فكان خير الخلق.

وصدق شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حين وصفه بقوله :  
 وأحسن منك لم تر قط عيني      وأجمل منك لم تلد النساء  
 خلقت مبرء من كل عيب      كأنك قد خلقت كما تشاء  
 وقال من كان يخشى القتل لهجائه له :

أنبئت أن رسول الله أوعذن  
 والعفو عند رسول الله مأمور  
 القرآن فيها مواعيظ وتنبيه  
 مهلاً هداك الذي أعطيك نافلة  
 وصارم من سيف الله مسلول  
 إن رسول نور يستضاء به  
 وصدق الله العظيم :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْنَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو  
 اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

## نبي الرحمة والإحسان

إن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في ١٢ / ربيع الأول  
 أجدر بأن يحتفل به كيوم حقوق الإنسان وكرامته ، فإن بعثته صلى الله عليه وسلم كانت لإقرار القيم الإنسانية ، فقال صلى الله عليه وسلم : "بعثت لأنتم مكارم الأخلاق" وخطبه القرآن الكريم **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** وقال : **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَأً غَلِيلَ الْقُلُوبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾** [آل عمران الآية : ١٥٩]

وخير دليل على خلقه وغلبة العفو والرحمة على سلوكه مع الناس وصف أصحابه الذين عاشوا في ظل تربيته وشاهدوا حياته . وكل من يدرس التاريخ لا يسعه إلا أن يعترف بفضل بعثته على الإنسانية كلها في سائر شعب الحياة من العقيدة إلى السلوك والمعاملات التي تتصف بالخلق الإنساني النبيل والعدل ، فقد أخرج الرسول صلى الله عليه وسلم الإنسان بفضل العقيدة التي نشرها ، من الخوف والعبودية وهذه هي المأثره الأولى له .

كانت الأمم التي لا عهد لها بعقيدة التوحيد لم تكن تعرف معنى الإنسانية وكانت تعد نفسها عبيدة خاضعة لكل مظاهر من

مظاهر القوة، وإن عقيدة التوحيد التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم هي العقيدة التي استطاعت أن تحرر الإنسان من المخاوف التي كانت تسيطر على شعوره، فأصبح بفضل هذه العقيدة لا يخاف أحداً إلا الله، وتلاشت لديه المهابة الملوكية والجلالة الحاكمة لبني الإنسان، وبفضل هذه العقيدة أصبح كل إنسان فرداً من أفراد المجتمع الإنساني ، لا فضل لأحد عليه مهما أوتي من قوة ومال ، إلا بالتقوى .

كان الإنسان موزعاً بين القبائل والأمم والطبقات ، وكان بين إنسان وإنسان تفاوت ، وكانت الطبقات العليا تملك سلطات ، وامتيازات ، فأذاب الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحواجز البشرية ، فقال وهو بثابة إعلان حقوق الإنسان ، وإعادة كرامته ، "أيها الناس إن ربكم واحد ، وأباكم واحد ، كلكم من آدم ، وأدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأيضاً على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى" .

وقد تحقق هذا المجتمع الإنساني الذي لا توزعه قوميات ولا لغات ، ولا طبقات ، ولا أسر وعائلات ، ولا مال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما التقى رجال سائر القبائل التي كانت تحارب بينها ، والتقوى العرب بالفرس ، والروم ، الأمتين اللتين كانت تدور بينهما الحروب ، فأهللت الحرب والنسل .

فقام بفضل التعاليم النبوية أول مجتمع إنساني عالمي ، وعاش الفرس والعرب والروم تحت مظلة واحدة .

فقد كانت هذه العصبيات توزع الإنسانية وكانت هذه

العصبيات الباعث الرئيسي على الحرب، وإن الحروب التي جرت بين الفرس والروم معروفة في التاريخ لا ينكرها إلا جاهل، قد أمكن القضاء على هذه العصبيات بغزوات لا يساوي مجموع الخسائر فيها خسائر حرب واحدة جرت بين الفرس والروم.

إن الغزوات النبوية التي قامت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم التي بلغ عددها سبع وعشرين أو ثمانين وعشرين غزوة، والبعوث والسرایا التي بلغ عددها ستين، فقد أريق فيها أقل دم عرف في تاريخ الحروب والغزوات، ولم يتجاوز قتلى كلها ٩١٨ قتيلاً من الطرفين، وكانت هذه الحروب خاضعة لآداب خلقية وتعليمات رحيمة.

فقد كانت الطريقة المألوفة في الحروب التدمير الكامل كما جاء في القرآن الكريم بلسان بلقيس : **«إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَأَهُمْ أَذْلَهُ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ»** [النمل : ٣٤]. وهكذا فعل قيسار مع كسرى، كما ذكره ابن كثير في تفسير آية **«الْمُ، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي يَصْعُبُ سَيْنَيَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ»** [الروم : ٤-١].

يقول : "فركب قيسار من فوره وسار مسرعاً حتى انتهى إلى بلاد فارس ، فعاد في بلادهم قتلاً لرجالها ومن بها من المقاتلة أولاً فأولاً ، ولم يزل يقتل حتى انتهى إلى المدائن ، وهي كرسى مملكة كسرى ، فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله وأسر نساءه وحرمه ، وحلق رأس ولده ، وركبه على حمار وبعث معه

من الأساورة من قومه في غاية من الهوان والذلة . كما فعل كسرى عند غلبه على الروم ، يقول ابن كثير : بعث كسرى قائده شهريراز إلى الروم فسار إلى الروم بأهل فارس فظهر عليهم وقتلهم وخرب مداňنهم وقطع زيتونهم " .

### **سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأعداء بعد الفتبة :**

أما موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في فتح مكة مع أعداءه فيتجلى من قوله : "اليوم يوم المرحمة" ، وقال لأهل البلد المفتوح : "لا تشرب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء" ومنح أكبر أعداءه أبي سفيان الأمن ، فقال ﷺ "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن" .

ووسع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمن والعفو حتى أصبح أهل مكة لا يهلك منهم إلا من زهد في السلامة وكره الحياة .

وقد تجلى سلوك النبي ﷺ مع أعدائه المقاتلين في غزوة حنين ، وهو مثال للعفو والإحسان مع الأعداء وجزء الإساءة بالإنعم والإحسان ، فقد غالب المشركون في أول الأمر ، وانقضت كتائب المقاتلين من هوازن جماعات وجماعات ، وكانت مباغته عنيفة ، ولئن على أثرها المسلمين الأدباء ولا يلوى أحد على أحد ، وجعل رسول صلى الله عليه وسلم ينادي ، أنا الرسول لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ولم يثبت معه إلا نفر لا يتجاوزون المائتين ، وفي هذه الساعة ساعة العسرة العصبية ظهر النفاق .

ولم تضعف عزيمة النبي ﷺ بل دعا عمه العباس ، وكان جهوري الصوت فجعل ينادي المهاجرين والأنصار ! يا أصحاب

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ٣١٩/٦ ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

بدر؟ يا أصحاب الشجرة؟ حتى التف الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم وأمسك النبي ﷺ بحفنة من تراب فذرها في المشركين وهو يقول: "شاهد الوجه"، فما بقيت عين إلا دخلها التراب، وانكشف المشركون، وتبعهم الأصحاب، ففر قوم إلى أوطاس، وقام إلى حصن الطائف، ونصر الله المسلمين وغنموا مغانم كثيرة. واختار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك الغنائم بلا قسم رجاء أن يسلّمها أصحابها، أو يساوّمهم بها على عقد حسن جوار.

ثم توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وكان مدينة محسنة فحاصرها الرسول صلى الله عليه وسلم شهراً كاملاً ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم عازمون على البقاء وأن الحصار لا يجدي، وأن العدو قد انكسرت شوكته وأمن مكره وشره، رأى أن الأشهر الحرم قد أهلت، فرّح أصحابه قافلاً إلى مكة، وفي الطريق قال أصحابه يا رسول الله ادع على ثقيف، فلم يحبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما نظر إلى حصون ثقيف، وقال: "اللهم اهد ثقيف وإات بهم". وهذا ما حصل بعد حين.

وغادر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف قافلاً إلى الجعرانة حيث ترك الغنائم الوفرة نحو شهر كامل رجاء أن يسلم أصحابها فتعود لهم.

ولما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بتوزيع المال بدأ بأشراف قريش وسادات العرب لتأليف قلوبهم، وهم الذين عادوه وأذوه، فجاء أبو سفيان وقال يا رسول الله! أصبحت أكثر قريش مالاً،

فتبرس عليه السلام ، فقال أبو سفيان أعطني من هذا يا رسول الله ،  
 فقال يا بلال زن لأبي سفيان أربعين أوقية ، واعطوه مائة من الإبل ،  
 فقال أبو سفيان ولا لابني يزيد ، فقال صلى الله عليه وسلم زنوا  
 ليزيد أربعين أوقية ، واعطوه مائة إبل ، فقال أبو سفيان ولا لابني  
 معاوية يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال صلى الله عليه  
 وسلم زن له يا بلال أربعين أوقية ، واعطه مائة من الإبل .

قال أبو سفيان إنك كريم ، فداك أبي وأمي ، والله لقد حاربتك  
 فنعم المحارب كنت ، ثم سالمتك فنعم المساالم أنت ، جزاك الله خيراً .  
 وأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك صفوان بن  
 أمية ، فما كان من صفوان إلا أن قال أشهد أن لا إله إلا الله وإنك  
 رسول الله .

ثم وزّع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم على المجاهدين .  
 وجاء وفد من هوازن ، يستعطفون في ردّ أموالهم وأهلיהם  
 فخير النبي صلى الله عليه وسلم بين المال والأهل ، واختاروا الأهل ،  
 فنزل لهم النبي صلى الله عليه وسلم عما كان له ولبني عبد  
 المطلب ، ثم خطب الناس في ردّ أهلهم فرد الناس عليهم سبباهم .  
 وحبس النبي صلى الله عليه وسلم أهل زعيمهم مالك بن  
 عوف ، وقال لهم أخبروه إن أتى مسلماً رددت عليه أهله وماله ،  
 وأعطيته مائة من الإبل ، فاعظم في نفسه هذا الكرم وتسلل من قومه  
 خفية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلن إسلامه ، وحسن  
 إسلامه ، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه  
 قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف ، فعمد إلى نفر ،

منهم سادة ثقيف وأشرافهم، وجلس إليهم، ودعاهم إلى الله، فكان ردهم شرّ رد، واستهزؤوا به صلى الله عليه وسلم ، وأغرروا به سفهاءهم، وعبيدهم، يسبونه ويصيرون به، ويرجمونه بالحجارة، فعمد إلى ظل نخلة، وهو مكروب، فجلس فيه، وكان ما لقي في الطائف أشد ما لقيه من المشركين، وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه، فلما مر، جعلوا لا يرفع رجليه إلا رموها بالحجارة، حتى أدموه، وهم تسلل منهم الدماء، وفاض قلبه ولسانه، بدعاء شكا فيه إلى الله ضعف قوته، وقلة حيلته، وهو انه على الناس، واستعاد بالله تعالى وبنصره وتأييده ، فقال:

"اللهم إلينك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتوجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعود بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، ومن أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله".

فأرسل الله إليه ملك الجبال ، يستأذنه في أن يطبق الأخشبين ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا .

هذه أمثلة قليلة من كرمه وجزاءه الإساءة بالإحسان إلى أعدائه الذين حاربوه وقاتلواه ، وفي حالة حرب وعداؤه ، وهي كثيرة منتشرة في كتب السيرة .

وقد بَيَّنَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ عَلَى  
الْإِنْسَانِ الَّتِي مَا كَانَتِ الْأَمَمُ الْرَّاقِيَّةُ تَعْرِفُهَا، وَيَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْحُقُوقِ  
قُوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الْخَلْقُ عِبَادُ اللَّهِ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مِنْ  
أَحْسَنِ إِلَى عِيَالِهِ، وَقَالَ: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مِنْ  
فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مِنْ فِي السَّمَاوَاءِ".

قال سوادة بن الريبع الجرمي : أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمي فأمر لي بشياء ، وقال لها صلوات الله عليه : مري  
بنيك أن يقلموا أظفارهم أن لا يوجعوا أو يعطبوا ضروع الغنم ،  
ومري بنيك أن يحسنو غذاء رباعهم .

فرسول الرحمة أمر بتقليم الأظافر عند حلب الغنم لئلا  
يوجعوا ويجرحوا أثناءها وأن يحسنوا غذاءهم .

وقد حدَّثَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَابَعَهُ عَلَى الرَّفِقِ  
وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْحَيْوَانِ بِقُوْلِهِ: "إِنَّ فِي كُلِّ كَبْدٍ رَطْبَةً أَجْرًا".

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدق الشعير لبغته الشهباء دلدل  
حينما ذهبت أسنانها وعمي بصرها .

وأوصى رسول الرحمة : "إِذَا رَكِبْتُمُ الدَّوَابَ فَأَعْطُوهَا  
حَقَّهَا فِي الْمَنَازِلِ، وَلَا تَكُونُوا عَلَيْهَا شَيَاطِينَ بِعَدْمِ إِرَاحَتِهَا وَعَدْمِ  
النَّزْوِ عَنْهَا وَعَدْمِ إِطْعَامِهَا وَإِسْقَاءِهَا حَاجَتِهَا".

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحةً عَصْفُورًا  
رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

لقد كان ثمن شهوة فرد واحد وهو شخص واحد قبل بعثته  
أكبر وأغنى من أرواح الآلاف ، ومئات الآلوف من الناس ، ينهض

ملك واحد وامبراطور واحد، فيتكسح البلاد ويستعبد العباد، ويهلك الحرف والنسل، وتتأني على الأخضر واليابس لإشبع أنانية ملكية، أو طموح سياسي، يزحف الأسكندر المقدوني الكبير ويفتح إيران وسوريا والبلاد الساحلية ومصر ومعظم تركستان حتى بلخ الهند الشمالية، يدمر في طريقه حضارات ومدنیات عتيبة راقية، وينهض يوليوس قيصر الرومي والقادة العسكريون مثل هابوال القاطاجي فيقتتصون الفئات البشرية كما يقتنص الصيادونهم بالقنص حيوان الغابة من غير اكتراش.

ولم تنته هذه العمليات الوحشية بعد الميلاد بل ارتكب الروم بعد قيولهم المسيحية مجازر بشرية، لأغراض سياسية ولأغراض دينية، وجرائمهم مسجلة في كتب التاريخ.

وكل من درس التاريخ بدون تعصب أدرك هذا الفارق الكبير، واعترف بفضل تربية الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول الكاتب الألماني كاتاني Caetani في كتابه "سنن الإسلام":

"لقد كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلقي ودعاة الإسلام في المستقبل، وحملة تعاليم محمد ﷺ التي بلغها إلى أهل التقوى والورع، لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله وحبهم الخالص له، إلى عالم من الفكر والعواطف لم يشهد محيط أسمى منه وأرقى مدنية واجتماعاً، والواقع أن هؤلاء الصحابة كان قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحرب أن مبادئ محمد صلى الله عليه وسلم إنما بذرت

في أخصب أرض أثبتت نباتاً حسناً، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءات عالية جداً، كانوا حفظة الصحفة المقدسة وأمناءها و كانوا محافظين على كل ما تلقوه من رسول الله من كلام أو أمر، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الذين أنجبوها فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماء ومحديث الأولين".

إن الذين يروجون أسطورة السيف ويصفون رسول الإنسانية والرحمة رسول السيف، يجهلون هذا التاريخ، أو يتتجاهلون أنهم إذا صعب عليهم الاطلاع على التاريخ الذي سبق الإسلام يستطيعون أن يطالعوا تاريخ الاستعمار، وتاريخمحاكم التفتيش، وتاريخ الحروب الصليبية، وتاريخ الحربين العالميتين وما فعله زعماء الشيوعية بعد توليهم الحكم من قتل جماعي، وتشريد عام لفرض أيديولوجياتهم الإلحادية، ومقارنوا بين خسائر هذه الحروب والغزوات التي يفخمونها، ويضخمونها ويتهمون الإسلام من أجلها بأنه انتشر بالسيف .

إن هذا العصر هو عصر الدراسة والتحقيق، وعصر البحث والتمحيص، فقد انقضت قرون على تهمة رسول الله ﷺ بالعنف، والإسلام بأنه انتشر بالسيف ، وتردد الأجيال بعد الأجيال هذه الإفتراءات ، إن طبيعة هذا العصر تقتضي أن تبذل محاولة لدراسة علمية مقارنة بين سيرة الرسول ﷺ وسير أصحابه ، ومنتبعهم بإحسان من الملوك العاملين وسير السلاطين المسلمين العادلين ، والأبطرة ، والملوك ، والقادة العسكريين الغربيين الذين يدعون انتماهم إلى النصرانية ، وينعتونها بدين الحب والرحمة .

## محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الهدى والعلم

ذكر القرآن الكريم أو صافاً متعددة للرسول الكريم ﷺ ، وهي تشمل حياته كلها ، ووردت هذه الأوصاف في مواضع مختلفة. من هذه الصفات التي وردت في مواضع مختلفة من القرآن الكريم: مبشر ، ومنذر ، وداع إلى سبيل ربه بالحكمة والوعظة الحسنة ، وبلغ للرسالة «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رَسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» [المائدة: ٦٧] «فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» [الحجر: ٩٤] «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ لَوْكَرَةُ الْمُشْرِكُونَ» [الصف: ٩]. «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَارَبِّنَا وَسَرَاجًا مُنِيرًا» [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وتشتمل كتب السيرة على وصف سائر هذه الجوانب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك جانب مهم لم تلتفت إليه الأنظار في دراسة السيرة النبوية ، وهو جانب كونه ناشر العلم والحكمة ، رغم ذكر هذه الصفة في القرآن الكريم وأهميتها في إحداث انقلاب في الحياة ، ليس في حياة المسلمين ، بل في مسار

العالم وإخراجه من الظلمات إلى النور ، يقول الله تعالى **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلَوَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** [الجمعة : ٢]. وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه مهمته التي بعث من أجلها ، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فابتلات الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وأسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تبتت كلاًًا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به" (رواه البخاري) وعن أبي هريرة رضي الله عنه : " أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتلون فيها فأنا آخذ بمحجزكم عن النار وأنتم تقطتون فيها" (رواه البخاري).

فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في الأميين ، ويتطرق الذهن من الأميين إلى العرب وحدهم ، فقد كانوا طبعاً أميين ، لم يتشرفهم العلم والكتابة ، إلا بنسبة محدودة ، ولكن ماذا كان حال الأمم الأخرى في عهد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ إنه موضوع دراسة ويبحث ، فإذا درس أحد تاريخ العالم في عهد

البعثة الحمدية وجد حالة الأمم لا تختلف كثيراً عن العرب، بالنسبة للعلم، فإذا كان العلم مفقوداً عندهم كان العلم محدوداً في الأمم الأخرى، مقصوراً على طبقات أو رجال، فتذكرة كتب التاريخ وأسماء أشخاص كانوا يقرأون ويكتبون، وانتشار العلم في العالم.

كتب لافيis ورامبو في كتاب "التاريخ العام" :

"كانت إنجلترا في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد العاشر فقيرة في أرضها، منقطعة الصلات بغيرها، سمعة وحشية، تبني البيوت بحجر غير نحيت، وتشيدها من تراب مدقوق، تعم الأمراض والأوبئة، ولم يكن الناس أحسن وضعًا من الحيوانات، يعيش رئيس القبيلة في كوخه مع أسرته.

وكانت أوريا كلها في ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة، متأخرة في زراعتها، وتنبعث من المستنقعات رواحة قتالة، تجتاح الناس وتحصدتهم، وكانت البيوت في "باريس" ولندرها، تبني من الخشب، والطين، والقش، والقصب، ولم يكن فيها منفذ، ولا غرف، وكانت البسط مجهلة.

كانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والأطفال، وكثيراً ما كانوا يؤوون معهم الحيوانات الداجنة، ولم يكن للشوارع مجار، ولا بلاط، ولا مصايف".

قال درابر: "كان من أثر ذلك أن عممت الجهلة في أوريا، وساورتها الأوهام، فانحصر التداوي في زيارة الأماكن المقدسة، مات الطب، وعمت أباطيل الدجالين".

وقال أحد المؤرخين الأفرنج: إن معظم سكان إسبانيا

الإسلامية كانوا يقرؤون ويكتبون في زمن كان فيه أهل الطبقة العليا في أوروبا النصرانية أميين لا يقرؤون عدا أفراداً قلائل. استمر هذا الظلم إلى القرن العاشر في أوروبا ولم تتتبه إلا بعد الاستفادة من المسلمين.

كان القرن العاشر من أصعب فترات التاريخ في أوروبا، فقد كان يجري فيها صراع شديد بين رجال العلم والكنيسة، فواجهه كثير من العلماء مخناً وشدائد ل موقف الكنيسة المعادي للعلم، وخضوع الحكومات المسيحية لأحكامها، فأعدم عدد منهم بتهمة الكفر.

ويذكر دراير قصة طريفة : "أن سلفستر الثاني # Sylvestre الفرنسي ( ١٠٠٣ - ٩٣٠ م ) الذي كان يدرس في دير بمدينة في أوريا ذهب إلى الأندلس ، وأقام في أشبيلية وقرطبة ، وتحصص في الحساب ، والطبيعيات على رياضيين عرب ، فلما عاد إلى أوريا مضطلاً بالعلوم والمعارف حسبه الناس ساحراً ، واتخذه بعض الملوك مؤدياً لأولادهم ، وتنقل في مراتب عالية إلى أن وصل إلى رتبة البابوية سنة ٩٩٩ م ، ولما عرف الرجعيون قتلوا الملك وألحقوه بالبابا أيضاً.

وكلفت محكمة التفتيش الأوروبية بأيدي البابوات في القرون الوسطى ، كلفت عشرات الضحايا من باحثي العلم ، وقد كان الأساقفة يعتقدون أن القول بكون الأرض مدورة يتنافي مع الدين ، وصنف كوبرنيكس كتاباً في حركة الأرض ومركزية الشمس ، فصدر الحكم بتلفير من يقرأ الكتاب ، وبيؤيد ما اكتشفه كوبرنيكس ، فسجن ومات في السجن ، وأحرق برونو حياً لأنه

كان يعتقد بتعدد العوالم".

في هذا المحيط الذي يسوده الجهل والأمية والذى ظل على حالته إلى أن انتشر العلم بتأثير تعاليم الرسول ﷺ وتأكيده على الحصول على العلم، والتزود به، بل الاستزادة فيه كما أمر في القرآن الكريم: **«وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»** [طه: ١٤]، وكان في أهم أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم حسب إرشاد القرآن الكريم: "اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملًا متقىً".

وقد بدأ النص بالقراءة ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم، فقال الله تعالى: **«هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَّلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْيِ ضَلَالٍ مُبِينٍ»** [الجمعة: ٢] وقال النبي ﷺ: "أدبني ربِّي فاحسن تأدبي" وقال : "بعثت متمماً لمكارم الأخلاق" فكانت سمات بعثة الرسول ﷺ كسب العلم ونشره، وتزكية النفس، وتعليم الحكمة، وهو اقتران جميل، ترفع مستوى حياة الإنسان وتثقفه للتعامل مع الناس ، وبناء حياة أفضل.

إن تاريخ العلم يبدأ بالبعثة الحمدية فقد كانت الأديان السابقة قد فرضت القيود على كسب العلم ونشره، بل كانت فرضت القيود على الفكر والتدبر، وعلى الكتاب غير الكتاب المقدس، ففتح الإسلام أبواب العلم، كما تدل عليه الآية الأولى ، التي بدأت باقرأ ثم أداة العلم، القلم، وقد وردت كلمات التفكير والتدبر والشعور، والعلم، والعقل، والفقه، والتتفقه، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، والتدبر في خلق الله، فكان الإسلام فاتح

عهد جديد، ومحرجاً من الظلم، واستبداد رجال الدين الذين  
كمموا الأفواه ووضعوا الأغلال على منابع العلم، وأداوته  
 واستبدوا بالعلماء.

لقد فتحت المدرسة الأولى قبل الهجرة في مكة في دار الأرقام، وبعد الهجرة في المدينة، في المسجد النبوي الشريف، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أسرى قريش، بعد غزوة بدر من كان يعرف الكتابة بتعليم الكتابة، ثم سار على هذا المنهج الحكام المسلمين، وفتحوا أبواب العلم، وجمعوا بين أماكن العبادة، وأماكن التعليم، فكانت المساجد تنقلب إلى مدارس بعد الصلاة، فكان جامع القرويين وجامع الزيتونة، وجامع عمرو بن العاص الجامعات الأولى في العهد الإسلامي، ثم جامع الأزهر في القاهرة ثم الجامعة النظامية في بغداد، علاوة على مراكز العلم التي كان يشرف عليها العلماء ويفد عليهم رواد العلم من أماكن بعيدة، ثم صبر العلماء في كسب العلم، وتحمل مشاق السفر الطويل من أجل الاستزادة من العلم، ورفع مكانة أصحاب العلم في عيون العلماء والأمراء، والحكام، يدل كل ذلك على حرص المسلمين على كسب العلم، وذلك بفضل تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورفعه ل شأن العلم .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "من سئل عن علم فكتمه ألمحه الله بلجام من نار يوم القيمة".(رواوه الترمذى)  
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
«فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفٍ عَابِدٍ» (ابن ماجة)

وعن كثير بن قيس قال كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا أبا الدرداء إنني جئت من مدينة الرسول ﷺ لحديبو بلغتني أنك تحذك عن رسول الله ﷺ ما حلت لحاجة قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من سلك طريقاً يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا طالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (صحيح الترمذى).

عن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله ﷺ إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير (صحيح الترمذى)

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن طلب العلم فريضة على كل مسلم . (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر)

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتلذذون القرآن ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيما عنده وما من رجل يسلك طريقاً يلتمس فيها علماً

إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.  
 (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر)

وَعَنْ أَبْنَى مُسْعَودَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَا حَسْدَ إِلَّا فِي اثْتَنِيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَسْلُطَةَ عَلَيْهِ هُلْكَتَهُ فِي الْحَقِّ  
 وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِيُ بِهَا وَيَعْلَمُهَا. (جامع بيان العلم  
 وفضله، لابن عبد البر)

وَعَنْ أَبْدَلِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِّنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ  
 عِلْمًا إِذَا عَبَدَ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهَلًا إِذَا أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ إِنَّا النَّاسَ  
 رِجْلَانِ عَالَمٍ وَجَاهِلَ فَلَا تَمَارِ عَالَمٌ وَلَا تَحَاوِرْ جَاهِلٌ. (جامع  
 بيان العلم وفضله، لابن عبد البر)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَيِّ الْعَابِدِ كَفْضُلِي عَلَيْ أُمِّيٍّ. (جامع بيان  
 العلم وفضله، لابن عبد البر)

وَعَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَضْلُ  
 الْمُؤْمِنِ الْعَالَمِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْعَابِدِ سِبْعَوْنَ دَرْجَةً. (جامع بيان العلم  
 وفضله، لابن عبد البر)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ  
 يَبْعَثُ اللَّهُ الْعَالَمَ وَالْعَابِدَ فَيُقَالُ لِلْعَابِدِ ادْخُلْ جَنَّةَ وَيُقَالُ لِلْعَالَمِ  
 اشْفَعْ لِلنَّاسِ كَمَا أَحْسَنْتَ أَدْبِهِمْ قَالَ شَبِيلٌ يَعْنِي تَعْلِيمَهُمْ. (جامع  
 بيان العلم وفضله، لابن عبد البر)

وَبِهَذَا الْحَرْصِ الشَّدِيدِ وَالشَّغْفِ بِالْتَّزُودِ بِالْعِلْمِ أَنْجَبَ تَارِيخ

الإسلام في العهود الأولى كبار الحكماء وال فلاسفة ، و صدرت من أقامهم كتب تزخر بها المكتبات العالمية في هذا العصر ، ويستفيد بها طلاب العلم في مختلف فروعه ، بعد مضيء أكثر من ألف سنة ، و انتشرت المكتبات في المدن والقرى .

يقول المفكر الإسلامي الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوى وهو يذكر تأثير أهمية التفكير والتدبر والعلم في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ودور المسلمين في نشر العلم :

" كانت نتيجة ذلك - زيادة على الاهتداء إلى الحقيقة الكبرى وهو ما أشار إليه القرآن بقوله في هؤلاء المستخدمين للعقل والتفكير على الطريقة الصحيحة **«رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِأَطْلَالٍ»** [آل عمران : ١٩١] هو النشاط الفكري العالمي في كل مجال من مجالات العلوم والصناعات والمدنية ، ظهر أثره في العالم كله ، وكأنما فتحت كوة ومنفذ واسع يدخل منه النور والهواء الطلق ، وكأنما كسر أو فتح ذلك القفل الذي وضعه أعداء الحرية والتفكير السليم ، أو المثلون المزورون للديانات القديمة ، على العقل البشري ، واتبه العالم من سباته العميق الذي طال قرونًا وألافاً من السنين ، وببدأ يمسح عن عينيه آثار النوم العميق ، ويتقدم بخطى سريعة إلى تدارك ما فاته من التقدم ، والرقي ، وتذليل العقبات وإزالة العوائق والحواجز في سيره الطويل ، يحدث عن هذا الأثر العالمي وعن هذه الهزيمة العنيفة والرفيقة في وقت واحد عالم فرنسي كبير فيقول جولييف كستلوا **Jolivet Castelot** في كتابه "قانون التاريخ" **L'histoire Lalol De, L.** كان التقدم العربي بعد وفاة الرسول عظيمًا ، جرى على أسرع ما

يكون، وكان الزمان مستعداً لانتشار الإسلام، فنشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة، قامت في كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب، ظهر أثره في الفنون، والأداب، والشعر والعلوم، وبقى العرب بأيديهم خلال عدة قرون على مشعل النور العقلاني، وتمثلوا جميع المعارف البشرية التي لها مساس بالفلسفة، والفلك، والكميات، والطب والعلوم الروحية، فأصبحوا سادة الفكر مبدعين ومخترعين لا بالمعنى المعروف، بل بما أحرزوا من أساليب العلم التي استخدموها بقريحة وقادرة للغاية<sup>(١)</sup>.

ويقول أحد المؤرخين الغربيين :

"حينما كان أصحاب المقامات الرفيعة من الغربيين في القرن الحادي عشر ذوي الأخلاق العظيمة يفاخرون بأمتهם كان للأندلسيين مكتبة في قرطبة فيها ستون ألف كتاب خططي.

ويقول رينو ولافيس :

"وفي أثناء ما كان العثور على كتاب في كل من "فرنسا" و"ألمانيا" و"إيطاليا" في القرن الثاني عشر يعد من النواادر، كان الأندلسيون يتقللون ما بين سبعين مكتبة فيها كتب قيمة.

يقول دوزي : "كان الناس تائدين في ظلام الجهة لا يرون النور، والنور لا يسطع إلا من جانب الأمة الإسلامية ، من علوم، وأدب، وفلسفة، وصناعات، وأعمال يد، وغير ذلك، وبغداد، والبصرة وسمرقند، والبصرة، ودمشق، وقيروان، ومصر، وفارس، وغرناطة، وقرطبة، هي المراكز العظيمة للعلم،

---

(١) الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية للشيخ الندوی ، ص: ١١٢-١١٣

وعواصم أوروبا التي ندهش بها اليوم أشبه بقرى لا علم فيها ولا عمران، وهي متاخرة في شؤونها المادية والأدبية كافة، وما كانت في دار الإسلام مدرسة ولا جامع ولا بلد ولا دار كبرى تخلو من خزانة كتب مسلبة المطالعين<sup>١</sup>.

تقول المستشرقة الألمانية الدكتوراه زيفيريد هونكه في كتابه "شمس الإسلام تسطع على الغرب":

قبل ستة قرون امتلكت كلية الطب في باريس أكبر مكتبة في العالم وكانت محتوياتها كتاباً واحداً، وهذا الكتاب مؤلف عربي، لقد كان مؤلفاً قيماً جداً، حتى أن صاحب الجلالة ملك جميع المسيحيين لويس الحادي عشر أراد مرة استعارته فدفع تأميناً مبلغ اثنى عشر ماركاً فضة ومائة ريال ذهباً، وكان غرضه من استعارته تمكين أطبائه الخصوصيين من الحصول على نسخة منه للرجوع إليها إذا ظهر على صحة صاحب الجلالة طارئ ما، وهذا الكتاب هو عبارة عن موسوعة لسائر المعارف والعلوم الطبية اليونانية القديمة إلى عام ٩٢١.

وتقول: "كتاب صغير وضعه الرازي يعتبر حجة في مادته، وقد طبع في أوروبا في الفترة المتقدمة بين عامي ١٤٩٨ - ١٨٦٦ أربعين مرة، وإلى هذا المؤلف ترجع هذه البحوث الخاصة بالنقرس والحسوة، وأمراض المثانة والكلية وأمراض الأطفال".

وتقول: "لا عجب إذن إننا أن المعاهد الأوروبية ظلت رهاء ثلاثة قرون تعتمد على المؤلفات العربية فقط".

(٢) تاريخ المسلمين في إسبانيا لدوزي

ومن مناهل هذه الجهود العلمية اغترف الباحثون في أوروبا وأشادوا صرح علمهم وحضارتهم على هذه القاعدة التي وضعها المسلمون.

ويقول مؤرخ غربي:

"إن العرب هم معلموننا الأولون لعلوم الفلك والطبيعتيات والكيمياء والطب".

بدأ اقتباس الغرب للعلم من مراكز العلم في طليطلة وقرطبة وغرناطة في القرن العاشر، وفتحت مدارس على غرار تلك المدارس، ويقول برن في كتابه:

"إن أقدم الجامعات في أوروبا ترجع إلى القرن الحادي عشر، وبين القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر فتحت جامعات كثيرة في أوروبا، وفتحت الجامعة الأولى في ألمانيا في القرن الرابع عشر، بينما فتحت أكسفورد، وكمبردج في بريطانيا في القرن الثالث عشر للميلاد."

يقول لبون:

"أنشئت مدرسة للترجمة في عام ١١٣٠ م بعنابة ريموند، رئيس الأساقفة، وأخذت تترجم إلى اللاتينية أشهر مؤلفي العرب، وعظم نجاح هذه الترجمات، وعرف الغرب عالماً جديداً، ولم تنقل إلى اللاتينية كتب الرازي وأبي القاسم وابن سينا وابن رشد هم وحدهم، بل نقلت كتب اليونان أمثال جالينوس وبقراط، وأفلاطون، وأرسطو، ويطليموس، وهي الكتب التي كان المسلمون نقلوها إلى لسانهم، وذكر أحد المؤرخين أن ثلاثة مائة

كتاب نقلها الغرب من العربية إلى اللاتينية في الطب وحده. وفي القرن الثالث عشر للميلاد تجمع في إيطاليا عدد كبير من المثقفين الذين كانوا على اتصال بالثقافة العربية الإسلامية في الأندلس، فعرفوا بوساطتها أرسطو وكتبه، وقد كانت هذه المعرفة عن طريق الترجمات العربية، وظلت هذه الترجمات العربية والكتب العربية مقررة في المدارس التي أنشئت في أوروبا على غرار مدارس العرب".

إن انتشار العلم في العالم واستمرار ركب مدین لوقف المسلمين الذين حكموا العالم أكثر من ألف سنة، فقد كانت مدنهم الكبرى كالقاهرة وبغداد، وقرطبة وأصفهان، وقزوين، وتبريز وسمرقند، وبخارى، مراكز الإشعاع العلمي ومنابع الحضارة العالمية، فلو كان موقف الإسلام إزاء العلم ك موقف الكنيسة إزاءه لكان ركب العلم توقف على الوضع الذي كان فيه في القرن السابع للميلاد، عند ما وضعت الأقبال على الكتب المدفونة في المكتبات، وفرضت القيود على التدبر والتفكير، وقد اعترف به المنصفون من المستشرقين وعلماء الغرب، فكل ذلك منه للبعثة المحمدية، على صاحبها ألف تحية وسلام، الذي أمر بطلب العلم والاستزادة منه.

يقول "مسيو ليتري": "لو لم يكن العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون، ويقول مسيورينان: "إن البرت الكبير مدین لابن سينا في كل شيء، وإن سانتوما مدین في جميع فلسفته لابن رشد".

وقال غوستاف لبون : إن العرب هذبوا البرابرة الذين قضاوا على دولة الرومان بتأثير الخلق وإن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية، والفلسفية بتأثيرهم الثقافي فكانوا مدنين لنا، وأئمة لنا ستة قرون.

يقول لبون : "كان تأثير العرب في الغرب عظيماً، وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا ، ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل مما كان في الشرق ولكنه كان مختلف عنه، أثروا في المشرق بالدين واللغة والفنون، وأما في الغرب فلم يؤثروا في الدين ، وكان تأثيرهم في الفنون واللغة ضعيفاً، وتأثيرهم بتعاليمهم العلمية والأدبية الأخلاقية عظيماً، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب ، إلا إذا تصور حالة أوروبا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة ، وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعشر للميلاد ، يوم كانت المدينة الإسلامية في إسبانيا زاهرة باهرة ، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في عامه ديار الغرب كانت عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوجهين ، يفاخرون بأنهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون ، وكان الطبقة العالية المستبرة في النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهله".<sup>١</sup>

يعير علماء الغرب المسلمين بالجهل المتفشي في العصر الحاضر في بلدان المسلمين التي سيطروا عليها قرناً أو قرنين ، وقبل ذلك فرضوا عليها الحروب وأثاروا الفتنة ، وفي عهد استعمارهم وضعوا عقبات في سبيل كسب العلم ، وبذلوا أقصى جهودهم

(١) حضارة العرب لجوستاف لبون ، ص: ٥٦٤]

لإبعاد الشعوب المقهورة عن التعلم والتقدم في العلم للاحتفاظ بـمصالحهم الاستعمارية، ويلقون الستار على عهدهم الطويل للجهالة العميماء في ظل سيادة دينهم، وسيطرة رهبانهم، وتبذل اليوم جهود لإخفاء كسب أوربا العلم من المناهل الإسلامية قبل النهضة، إن هذا الموقف يقوم على جهل التاريخ أو التجاهل المعمد عن الحقيقة إلا أن بعض المنصفين منهم يعترفون بفضل المسلمين في هذا الميدان.

يقول جوستاف ليبون في حضارة العرب :

" طال عهد الجهالة في أوربا ، ولم يجد فيها بعض الميل للعلم إلا في القرن الحادى عشر ، وبعبارة أصلح في القرن الثانى عشر ، ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلاً من الحاجة إلى نفض كفن الجهالة الثقيل طرقوا أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه ، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد .

ويقول كارلائيل في كتابه "الأبطال وعبادة الأبطال" : لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد ممدن في هذا العصر أن يصفي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمدًا خداع مزور ، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفية المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا".

وقال تولستوي الحكيم الروسي " وما لا ريب فيه أن النبي محمدًا كان من عظام الرجال المصلحين ، الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ، ويكتفيه فخرًا أنه هدى أمة برمتها إلى نور

الحق، وجعلها تجني للسكينة والسلام وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي، والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام<sup>١</sup>

(١) الإسلام والحضارة العربية، للأستاذ كرد علي، ص: ٦٦ . وشهادات المؤرخين الغربيين الآخرين التي عرضت في هذا المقال توجد في نفس المصدر، وكتاب "حضارة العرب" لنوستاف لبون، وكتاب "ماذا خسر العالم باغتطاط المسلمين" للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي، وكتاب "فجر الإسلام" للدكتور أحمد أمين .

## جوانب الرحمة والعفو في السيرة النبوية وأهمية عرضها بأسلوب علمي معاصر

كل من يدرس سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بدون عصبية قومية، أو عصبية دينية، لا يصعب عليه أن يكتشف من هذه الدراسة الموضوعية، أن السمة الغالبة الجلية لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوكيه مع أصحابه، وجوهر تعاليمه وتربيته للناس، هي الرحمة واللين، ولغلبة هذه الصفة وصفه القرآن الكريم برحمة للعالمين وليس برحمة للمسلمين.

وقد ظهرت هذه السمة في سائر مواقفه، في حياته الشخصية، وفي حياته الاجتماعية، وفي أشد وأصعب فترات الحياة، في ظروف القسوة والمعاناة، عندما كان يواجه أشد أنواع الأذى من رجال قبيلته، من المقاطعة، ووضع عقبات في سبيل دعوته السلمية إلى الحق، وفي ظروف الحروب التي فرضت عليه، وظهرت في أصحابه، وفي المؤمنين بتعاليمه، وقد وصف القرآن الكريم هذه الطبيعة طبيعة الرأفة والرحمة فقال ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِئْنَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا لِّقُلْبٍ لَا تَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاغْفِفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران الآية: ١٥٩] وقال في موضع آخر: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّ أَعْلَى الْكُفَّارِ

رُحْمَاءَ يَنْهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَتَغَيَّبُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِوَا نَاسًا  
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَئِرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ» [سورة الفتح الآية: ٢٩] وقال: «وَعِيَادُ  
الرَّحْمَانَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ  
قَالُوا سَلَامًا» [سورة الفرقان الآية: ٦٣] وقال: «قَدْ أَفْلَحَ  
الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ  
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعْلَوْنَ، وَالَّذِينَ هُمْ  
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ  
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلَوِّمِينَ، فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ،  
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ  
يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرْثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ» [سورة المؤمنون: ١١-١].

وتعني هذه الآيات أن الرحمة هي السمة الغالبة للإسلام، وقد اشتغلت تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم على الرفق والرحمة حتى بالحيوانات والحشرات، ووردت في ذلك أحاديث كثيرة.

وفيما يلي بعض أمثلة رحمته ورفقه في السلوك، وعطفه ورأفته مع ألد أعدائه:

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسرى يوم بدر، فقال: "استوصوا بهم خيراً يقول أحدهم وهو أبو عزيز: "كنت في رهط من الأنصار، حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غدائهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر، لوصية رسول

الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحيي، فأردها، فيردها علي ما يمسها.

### عفو عن ظلم:

ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى مكة ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فأعرض عنه، لما كان يلقاه منه من شدة الأذى والهجو، فشكى ذلك إلى علي، فقال له: أئت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف **﴿قَالُوا تَالِلَّهِ لَقَدْ أَنْكَرَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾** [يوسف الآية: ٩١] فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قوله، ففعل ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم **﴿لَا تُثْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** [يوسف الآية: ٩٢] ، وحسن إسلامه بعد ذلك، وما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أن أسلم حياء منه.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش يوم فتح مكة، فأوددوا النيران، وخرج أبو سفيان بن حرب يتتجسس الأخبار، وهو يقول: "ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً" وكان العباس بن عبد المطلب، قد خرج من مكة قبل ذلك بأهله وعياله مسلماً مهاجراً ولحق بالعسكر، فعرف صوت أبي سفيان، وقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، واصبح فريش! فاركبه في عجز بغلته، وخشي عليه أن يدركه أحد المسلمين فيقتله، وأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ويحك يا أبا

سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله

لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد.

قال: ويحك يا أبي سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما

هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً.

قال العباس: ويحك أسلم وشهاد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله، قبل أن نضرب عنقك، فأسلم وشهد شهادة الحق.

**عفو عام وأمن بسيط:**

ووسع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمان والغفو،

حتى أصبح أهل مكة لا يهلك منهم إلا من زهد في السلامة،

وكره الحياة، فقال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن

أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن".

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه عن أن

يستخدموا السلاح عندما يدخلون مكة على أي إنسان إلا من

اعتراضهم وقاومهم، وأمر الجيش بالابتعاد عن أموال أهل مكة

وممتلكاتهم وأن يكفوا أيديهم عنها.

**نبي المحبة ورسول الرحمة:**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة يا عشر

قريش! ما ترون أنني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم!

قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: "لا تثريب

عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء".

### عفوه عن الأعداء الألداء:

ولما استقر الفتح، وأمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كلهم، إلا تسعه نفر، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم من ارتد عن دينه، ومنهم من قتل مسلماً غيلة، ومنهم من كان يشتغل ويتسلى بهجائه ويدعيه بين الناس، وكان منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد ارتد.

ومنهم عكرمة بن أبي جهل، وكان قد خرج إلى اليمن كارهاً لدولة الإسلام وخافقاً على نفسه، فاستأمنت له امرأته بعد أن فرّ، فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أعدى عدو له، في الدنيا، وثبت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عليه رداء، فرحاً به وترحياً، وأسلم عكرمة، فسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً عظيماً، وحسن إسلامه، وكانت له موقف عظيمة في حروب الردة وحروب الشام.

ومنهم وحشى مولى جبير بن مطعم، وقاتل عم الرسول وأسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه - فأسلم وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامه، ومنهم هبار بن الأسود، وكان قد عرض لزينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم حين هاجرت، فنخس بها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنينها، ففر، ثم أسلم، وحسن إسلامه، واستؤمن لسارة ولإحدى القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه، فأمنهما فأسلمتا.

واجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فجلس لهم على الصفا، وأخذ على الناس السمع والطاعة له، ولرسوله فيما استطاعوا.

ولما فرغ من بيعة الرجال، بايع النساء، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن: بايعني على أن لا تشركن بالله شيئاً، فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذ من الرجال.

"ولا تسرقن" فقالت: إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة، وما كنت أدرى أكان ذلك حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان. وكان شاهداً لما تقول. أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنك لهند بنت عتبة"؟ قالت: نعم، فاعف عما سلف، عفا الله عنك؟

ثم قال: "ولا تزنين" فقالت: يا رسول الله! وهل تزني الحرث؟ ثم قال: "ولا تقتلن أولادك" قالت: ربناهم صغاراً وقتلتهم كباراً، فأنت وهم أعلم، فضحك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حتى استغرق.

ثم قال: "ولا يأتين بهتان يفترنه بين أيديهن، وأرجلهن".

قالت: والله إن إتيان البهتان لقيح، ولبعض التجاوز أمثل ثم قال: "ولا يعصيني"، فقالت: في معروف.

كرمه وحلمه:

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الخلق

أجمعين، ومعلمهم في حسن الخلق، وكرم النفس، والتواضع، لقد قال الله تعالى **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم الآية :٤] وقد قال صلى الله عليه وسلم : "أدبني ربِّي فأحسن تأدبي". وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله بعثني ل تمام مكارم الأخلاق، وكمال محسن الأفعال ، وسئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلقه، فقالت : "كان خلقه القرآن".

وكان في العفو والحلم ورحابة الصدر وقوة الاحتمال، حيث لا يبلغه ذكاء الأذكياء ، وخيال الشعراء ، ولو لم يرو عن طريق لا يتطرق إليه شك ، ولا ترتفق إليه شبهة ، لما قبلته أذهان الناس ، ولكن روي بإسناد صحيح متصل ، ونقل عادل عن عادل ، وتواتر ، واستفاض ذلك ، فكان أثبت من التاريخ الأمين . ومن كرمه صلى الله عليه وسلم وعفوه عن أشد أعدائه ، وإحسانه إليه أنه أتي عبد الله ابن أبي - رأس المنافقين . بعد ما أدخل حضرته ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرج ، فوضعه على ركبته ، ونفث فيه من ريقه ، وألبسه قميصه .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه . قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرااني ، غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجذبه برداهه جبنة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبنته ، ثم قال : يا محمد ! مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء .

وجاء زيد بن سمعة قبل إسلامه يتلاضاه ديناً عليه ، فجذب

ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثوبه، وأغلظ له، ثم قال: إنكمبني عبد المطلب مطل، فانتهره عمر، وشدد له في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم بيتسنم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر! تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التفاضي، ثم قال: لقد بقي من أجله ثلاثة، وأمر عمر يقضيه ماله، ويزيده عشرين صاعاً لما روعه، فكان سبب إسلامه.

وكان مع شجاعته، رقيق القلب، سريع الدمعة، يرق للضعفاء، ويرحم الحيوانات والدواب، ويوصي بالرفق بها، يروي عنه شداد بن أوس، فيقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتם فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحذ أحدكم شفتره، وليرُخ ذبيحته. وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهم - أن رجلاً أضاجع شاة وهو يحد شفتره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتريد أن تعيثها موتين؟ هلا حددت شفترك قبل أن تضاجعها؟

وقد أوصى أصحابه بالإحسان في علف الدابة، وسقيتها وعدم إرهاقها، وتكليفها ما لا تطيق، وعدم اتخاذها غرضاً، ونحو بما في إزالة الكربة عن الحيوانات وإراحتهم من الأجر والثواب والقرب عند الله، روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الشرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي،

فنزل البئر فملاً خفه، ثم أمسكه بفمه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجراً؟  
قال: في كل ذات كبد رطبة أجر.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عذبت امرأة في هرة لم تطعمها، ولم تسقها، ولم تتركها تأكل من حشash الأرض .

وعن سهل بن عمرو (وقيل سهل بن الريبع بن عمرو) قال:  
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيير قد لحق ظهره ببطنه،  
قال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبواها صالحة وكلوها  
صالحة .

وعن عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حن وذرقت عيناه، فأتااه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح سراته، فقال: من رب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال: هذا لي يا رسول الله، قال أفلاتنقني الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه يشكو إلى إنك تجيعه وتتدئبه .

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سافرتم في الخصب، أعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم بالجدب، فأسرعوا عليها السير، ومبادروا بها نقيها، وإذا عرستم فاجتنبوا الطريق فإنها طريق الدواب، ومأوى الهوام بالليل .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فانطلق حاجته ، فرأينا حمرة معها فرخان ، فأخذنا فريخها ، فجعلت تفرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من فجمع هذه بولدها ، ردوا ولدتها إليها ، ورأى قرية نمل قد حرقناها ، قال : من حرق هذا؟ فقلنا : نحن ، قال : إنه لا ينبغي أن يعذبك بالنار إلا رب النار .

### الروقق في السلوك مع الخدم :

هذا فضلاً عما أوصاه للخادم والأجير ، وهما بشر من البشر ، ولهمما فضل على السيد والمستأجر ، فقد أوصى صلى الله عليه وسلم بالخدم والعبيد خيراً . روى جابر بن عبد الله - رضي الله عنه . أنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصى بالملوكين خيراً ، ويقول : أطعموهم ما تأكلون ، وألبسوهم من لبوسكم ، ولا تعذبوا خلق الله عزوجل ، إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكفلوهم مما يغلوthem ، فإن كلفتموهم مما يغلوthem فأعينوهم .

وروي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما . قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! كم أعنوا عن الخادم كل يوم؟ قال سبعين مرة .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه<sup>١</sup> .

---

(١) السيرة النبوية للشيخ أبي الحسن علي الحسني التدويني

إنه لفارقة غريبة أن هذه السمة الغالبة لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تجلت في حياته كلها وتجلت في حياة من اقتدى به ، قد حولها قصدًا الكتاب الغربيون الذين ألقوا كتاباً في السيرة النبوية ، قسوة ، واقتتصوا من السيرة وتاريخ الإسلام بعض الواقع ، أو الإجراءات التأديبية لإثبات أنه كان نبي الحرب ، أو العنف ، وأن الإسلام هو دين العنف ، وتمسك بهذا الخطأ والاستنتاج المقصود سائر الكتاب في الغرب ، وصار هذا التصور المفتعل ، شبه عقيدة للغربين لا تتغير بتغير الزمان ، ولا بالتجربة والمعرفة ، ولا يكلف أحد من أهل العقول والبحث العلمي ، نفسه بأن يدرس السيرة دراسة مفتوحة ، ويعرف الحقيقة وكل من يدرس السيرة دراسة غير منحازة ، يدرك هذه السمة . وقد اعترف بذلك كثير من درسو الإسلامية واعتنقوه ، واعترفوا أن معرفتهم السابقة كانت خاطئة .

لقد أظهر بعض الكتاب وكان منهم وليم ميور، وواشنجتون ايرفنج ، وأ.ج.آريري ، والفرديجيو ، وجولد تسيهر ، و س.م.زوير ، و و.غ.فون جرون باوم ، وفيليب حتى ، وأ.ج. فينسينك ، ولوبي ماسينيون ، و د.س.مرجيوليوب ، وأمثالهم نيتهم عند التأليف في السيرة النبوية ، أن المقصود من التأليف في هذا الموضوع هو قطع صلة المسلمين بذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإزالة قدسيته من النقوس ، وصار من طبيعة معظم الكتاب في السيرة النبوية في الغرب أن يبرزوا جانب الغلظة والمؤاخذة والعقاب ، ويركزوا عليه ، ويعرضوا عن جوانب

الرحمة، والإحسان، والعفو، الغالبة السائدة في حياته صلى الله عليه وسلم .

وقد شاعت هذه الكتب وأقبل عليها الناس وأدرجت هذه الكتب في المنهج الدراسية، واعتمد عليها الباحثون كمصادر موثوق بها، ولقد ألفت هذه الكتب في عهد غلبة المسلمين السياسية في العالم، عندما كانت أوروبا تخرج من عهد الظلام والجهل، وكانت نفسية الذعر من المسلمين الغالبين الذين فتحوا معظم أرجاء العالم المعمورة ، تطارد نفوس المقهورين في أوروبا، وكانت أوروبا في هذه الفترة تم بحروب طاحنة، أدت إلى التشاوؤم بالحياة، فوجدت معها عقدة نفسية أو مركب النقص أمام الغزارة المسلمين والحضارة الإسلامية السائدة، فوجدت في سب النبي صلى الله عليه وسلم وتزوير سيرته سلوى .

إن طبيعة الغرب هي طبيعة الضعف، والضعف يلجم دائماً إلى بذاءة اللسان، والجرئ يلجم إلى العفو والصفح والتسامي ، وكف اللسان، وقد جاء في المثل العربي "من ضاق صدره طال لسانه" وقد اختار الغرب للتغلب في الشرق الإسلامي حرباً سافرة في عهد غلبة المسلمين ، إنها اختارت طريق المكر والخداع ، والافتراء والدجل ، والدسائس .

نشأت في أوائل عهد النهضة العلمية في أوروبا مكتبة ضخمة عن الإسلام ، وخاصة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحتختلف هذه المكتبة في طبيعتها عن المكتبة العلمية الأخرى التي نشأت في أوروبا في هذا العهد ، فهي في العلوم والفنون موضوعية ،

تقوم على التجربة والبحث ، وعدم التقليد ، والشك في كل ما وصل إليه العلم من السلف ، وتقدمت أوروبا بذلك في العلم ، لكنها في أفكارها وتصوراتها عن الإسلام ، ظلت مقلدة ومتمسكة بالخط القديم ، تجدد وتعيد ما كتبه المتقدمون من الباحثين في الموضوعات الإسلامية بدون أي محاولة لغريبة تلك التصورات ، وقد أشار إليه رئيس وزراء بريطانيا في خطابه الذي ألقاه في إندونيسيا فقال إن العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب تقوم على التاريخ الماضي ، ولا بد من أن يكون الحال مدار هذه العلاقات .

لقد كان هناك بعض أصحاب القلم المحايدين أو المنصفين ولكن بحوثهم كانت ضد الطبيعة السائدة في أوروبا التي كانت تتسم بالحقد والكراهة للإسلام ، فلم تزل كتاباتهم شيئاً ورواجاً ، لا شك أن المنصفين كلامرتين ، ووilyk ديورات ، وتوماس كارلايل ، وجاك رسيلر ، وهوبرت جورج ولز ، وهنري دي فاستري كانوا معترفين بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن كتابات الحاذدين ظلت نافقة لوجود طبيعة العداء للإسلام التي ورثتها أوروبا من عهد الحروب الصليبية الفاشلة .

إن هذه المكتبة القدية التي تبث الكراهة وال恨 للإسلام وخاصة لذات الرسول صلى الله عليه وسلم هي الباعث الكبير على الكتابات المضللة التي تصدر حيناً بعد حين في أوروبا ، وهي تظهر في أعمال الفنانين أيضاً ، لأن هذه المواد المضللة مدرجة في الكتب الدراسية الشائعة .

لقد ثارت عاصفة عارمة في العالم إثر الرسوم المسيئة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم التي نشرتها صحيفة دنماركية، ثم أعيدها نشرها في صحف أوروبا الأخرى، وكان رد بعض العناصر على هذه الاحتجاجات أنهم عملوا حسب معرفتهم، وإنه تعبير عن رأيهم ، وإن حرية التعبير مكفولة في أوروبا، وأشارت إليه مجلة "اكنومست" أيضاً أن كتب المستشرين تحمل أسوأ من ذلك ، ونقلت المجلة بعض هذه التصورات الشائنة في كتب المستشرين .  
يصادف كل من يدرس كتب السيرة التي ألفها المسلمون رداً على هذه الكتب المسيئة نماذج من تصورات أهل الغرب الحاقدة .

لقد كان من واجب أهل العلم والمعرفة من المسلمين أن يوجهوا عنايتهم إلى هذا الجانب ، في بداية هذه الحملة ، لكنهم اعتنوا بالغزو العسكري أكثر من اعتمادهم بالغزو العلمي والفكري الذي أقبل عليه الغرب قبل غزوه العسكري للعالم الإسلامي .

لا شك أن أهل العلم من المسلمين أغنووا العالم الإسلامي بمؤلفات قيمة في السيرة النبوية في لغات المسلمين ، فقد كانت الكتابة في السيرة موضوعاً مفضلاً ومحبوباً، وبفضل هذه التأليفات علق بقلوب المسلمين حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتعشت في قلوبهم روح الفداء له ، وظهر هذا العنصر جلياً في السنوات الماضية ، وشاهد العالم ذلك ، وشاهد العالم مصداقية الحديث الشريف ، "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ووالدته والناس أجمعين" ، فإن كل مسلم مهما كان شغله ، وعلمه ، وببيئته ، مستعد ليقدم أعلى ما عنده من ماله ونفسه ، ليعبر عن

عاطفة جبه للرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد ثارت مكتبة كتب السيرة في لغات المسلمين هذه العاطفة، وحافظت عليها، كما ساعدت المذايحة النبوية في مختلف لغات المسلمين على تنمية وتعزيز هذه العاطفة، ولكن موقف أوروبا، لا يمكن أن يتغير إلا بمكتبة غنية بكتب السيرة في لغات أهل الغرب، وقد برزت ضآلة كتب السيرة في اللغات الأوروبية خلال هذه الفترة .

وقد أفادت التقارير الصحفية أن المكتبات الإسلامية في أوروبا خلت من كتب السيرة، فواجهت ضغطاً شديداً بسبب نقص كتب السيرة في اللغات الأوروبية، وأبرز ذلك تقصير المسلمين في هذا الصدد .

إن هناك جمعيات علمية وأكاديميات في العالم الإسلامي، وكذلك توجد في أوروبا جمعيات إسلامية، ومراكز إسلامية، تقوم بعمل الدعوة والإرشاد، ويفضل هذه الجمعيات يهتمي عدد كبير من غير المسلمين إلى الإسلام، وهو عمل مشكور، ولا تقل قيمة، ولكن الجانب العلمي للدعوة الإسلامية لا يقل أهمية من الجانب العملي للدعوة، وقد حان الأوان للتوجه إلى هذا الجانب. إن هذا الفراغ يجب أن يملأ، وينال الأولوية، فتعكف الجمعيات العلمية على إعداد كتب في السيرة والتاريخ الإسلامي بأسلوب علمي مقنع مراعية لطبيعة القراء في الغرب، الذين يحملون في أذهانهم أحقاداً وشكوكاً وشبهات عن الإسلام .

ولا تتعلق هذه المسألة بغير المسلمين، بل تتعلق أيضاً

بالناشئين في البيئات الغربية، والمتقفين بالثقافة الغربية في أوساط المسلمين، فإنهم أيضاً يحملون شكوكاً وشبهات، لاعتمادهم على كتب أهل القلم في أوروبا وثقتهم باستنتاجاتهم المقصودة الموجهة .

لقد هدأت العاصفة التي اجتاحت العالم كله، وأدى المحتجون واجبهم وعبروا عما كان في ضمائرهم من حب، وروح، وفاء لذات الرسول صلى الله عليه وسلم وسيجزون عليه عند الله خير الجزاء، وعادت الآن المسئولية إلى أهل العلم والمعرفة، وأهل الاختصاص الذين يعرفون لغات أوروبا لنشأتهم فيها أو لتعلمهن لغاتها، وثقافتها، وطبائع أهلها أن يفكروا على تحقيق هذا الهدف، ويعرضوا السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وينشروا أعمالهم في المجتمع الأوروبي، وذلك هو الطريق الوحيد لتغيير التفكير الأوروبي، وذلك هو واجب إسلامي في الأوضاع الراهنة .



### القسم الثالث

- النماذج البشرية في الحديث النبوى الشريف
- الرحلة الحجازية ومناهج المؤلفين فيها  
في العصر الحديث
- دور المذايق النبوية في الاحتفاظ بالارتباط  
بذات الرسول صلى الله عليه وسلم

## النماذج البشرية في الحديث النبوي الشريف

يأتي الحديث النبوي الشريف في المنزلة الثانية في الروعة البيانية في التشر العربي بعد القرآن الكريم، وحيث أن القرآن الكريم هو الكلام الإلهي المنزلي من الله تعالى، وهو كلام معجز لا يعد كلياً من التشر ولا من الشعر، كان كلام الرسول صلى الله عليه وسلم أعلى وأرفع كلام بشري وأفصحه .

وقد انعكس الأدب القرآني المعجز على كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، واصطبغ كلامه به ، كما انعكس القرآن في خلقه وأدبه ، وسلوکه في الحياة ، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها : "كان خلقه القرآن" ، ولنشأة الرسول صلى الله عليه وسلم في مدرسة القرآن الكريم اقتبس الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع ألوان الأدب القرآني ، وأسلوبه في البيان كالأحكام وأخبار الأمم ، والتبيين ، والإذنار ، والوصف لطبيعة الإنسان ، ووصف الطبيعة ، ووصف الحياة ومناهجها ، ووصف النماذج البشرية ، والحالات النفسية للإنسان ، والخصائص البيانية كالكلام المرسل ، والكلام المقيد ، والكلام ذي الجرس الصوتي ، والكلام الرقيق السلسال ،

والكلام المفخم، المنذر والمحذر، وتشخيص المعاني النفسية . وتتنوع موضوعات الحديث النبوى الشريف بتنوع الحياة ، وتنوع الحالات النفسية والفكيرية للمخاطبين والموضوعات ، كما استخدم الحديث النبوى الشريف جميع وسائل التأثير على النفس لغرس المعانى وترسيخها في النفوس ، وإيضاً حها .

**الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب :**

روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم : لقد طفت في العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : "أدبني ربى فأحسن تأدبي " .

وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر .<sup>١</sup>

وتصف عائشة رضي الله عنها كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردهم هذا ، ولكنـه كان يتكلـم بكـلام بينـ فـصلـ ، يـحفظـهـ من جـلسـ إـلـيـهـ ، وـوـصـفـ هـنـدـ بـنـ أـبـيـ هـالـةـ كـلـامـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـالـ : كـانـ الرـسـوـلـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـتـواـصـلـ الأـحـزـانـ ، دـائـمـ الـفـكـرـةـ ، لـيـسـتـ لـهـ زـاحـةـ ، طـوـيلـ السـكـتـ ، لـاـ يـتـكـلـمـ فـيـ غـيـرـ حـاجـةـ ، يـفـتـحـ الـكـلـامـ وـيـخـتـمـهـ بـأـشـدـاقـهـ ، وـيـتـكـلـمـ بـجـوـامـعـ الـكـلـمـ ، كـلـامـهـ فـصـلـ ، لـاـ فـضـولـ وـلـاـ تـقـصـيرـ .

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) الشعائـلـ بـابـ كـيفـ كـانـ كـلـامـ الرـسـوـلـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .

وقد وصف أدب الرسول صلى الله عليه وسلم المتأخرون كالجاحظ، وأبن عبد ربه، وصفوا كلامه بأنه توفيق من الله وإلهام منه، وليس في طاقة أحد غيره، أن يأتي بكلام مثل كلامه، وهو أجمل كلام، وأفصحه، ولا مثيل له في كلام العرب.  
فيقول الجاحظ في "البيان والتبيين":

"هو الكلام الذي قل عدد حروفة، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزعه عن التكليف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد "وما أنا من المتكلفين" فكيف وقد عاب التشديق وجانب أهل التعمير، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موقع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغم عن البحرين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويُسر بالتفقيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والخلاؤة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب".

ويقول: "لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل منهباً، ولا أكرم مطلبأً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً"، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحوه، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً".

(١) البيان والتبيين للجاحظ، ص ٢/٨٧ دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان.

قال محمد بن سلام قال يونس بن حبيب : " ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " .  
 ويصف ابن عبد ربه أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه " العقد الفريد " بقوله : وقد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها ، فقال له " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك " ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورة " فنهاه عن التقصير كما نهاه عن التبذير ، وأمره بتوسط الحالين ، كما قال عزوجل ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان : ٦٧]  
 وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم في كتابه الحكم ، ونظم له مكارم الأخلاق كلها ، في ثلاثة كلمات منه ، فقال ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَغْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٠٠] ففي أخذه العفو صلة من قطعه ، والصفح عنمن ظلمه ، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله ، وغض النظر عن المحارم ، وصون اللسان عن الكذب ، وفي الإعراض عن الجاهلين تزييه النفس عن مماراة السفهية ، ومنازعة اللجوح ، ثم أمره سبحانه تبارك وتعالى فيما أديبه باللين في عريكته ، والرفق بأمتها فقال : ﴿وَاحْفِظْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٥] وقال : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطَأً غَلِيلَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وقال تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْيَنُكَ وَيَبْيَنُهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا

**إِلَّا دُو حَظٌ عَظِيمٌ** ) [فصلت : ٣٤-٣٥] فلما وعي عن الله عزوجل وكملت فيه هذه الآداب ، قال تبارك وتعالى : **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ، فَإِنْ تَوَلُوا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ )** [التوبه : ١٢٨-١٢٩].

يتضح من هذه النعوت لأسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم الأدبي أن أسلوبه صلى الله عليه وسلم أسلوب إلهامي ، وقد نشأ في المدرسة القرآنية أدبه وخلقه ، وهو أسلوب لا يداريه أسلوب بشري آخر.

اشتمل الحديث النبوى الشريف على موضوعات متعددة ، كبيان الأحكام ، وشرح التعاليم الإسلامية ، والنصوص القرآنية ، والقصص والتمثيلات لإيضاح التعاليم الإسلامية والدعوة ، والإذار والتبشير ، ووصف أحوال الجنة والنار ، وجزاء الأعمال ، وأخبار الأمم السابقة ، وأخبار الأمم القادمة ، ووصف القيامة وأشراطها ، وبيان العبادات والأخلاق ، والمعاملات ، ووصف طبيعة الإنسان وأحوالها ، وعرض النماذج البشرية .

ونركز فيما يأتي على ما تضمنه الحديث النبوى الشريف من عرض النماذج البشرية ، ووصف طبائع مختلف فئات الجنس البشري ، والنفس الإنسانية بطريق تم فيه نقل المعانى المحسوسة إلى مشهد مشاهد مرئي ، وذلك في أسلوب قصصي ، وذكر الحديث النبوى الشريف الآتي نموذج إنسان سيء الأخلاق وإنسان صالح الأخلاق .

فقال : ألا أني لكم بشر الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من أكل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده ، ثم قال : ألا أني لكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : من لا يقبل عشرة ولا يقبل معدنة ، ثم قال : ألا أني لكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : من يبغض الناس ويبغضونه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار ، وقد ذكر ذلك الحديث الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" ، والمبرد في "الكامل" وافتتح به المبرد كتابه ، وعده الجاحظ من أجود كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنكم لتكثرنون عند الفزع وتقللون عند الطمع".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بأحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيمة ، أحسنكم أخلاقاً ، المؤطئون أكتافاً الذين يألفون ويؤلفون ، ألا أخبركم بأبغضكم إليّ ، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيمة ، الثرثرون المتشددون المتفهرون".

ففي المؤطئون أكتافاً والثرثرون المتفهرون ، تصوير لهيئة الإنسان ، في الأول التواضع وخفض الجناج ، وخدمة الناس ، وفي الثاني التشدق في الكلام ، والظهور ، والتطاول ، يقال للنهر الممتليء بالماء ، الثرثار ، قال المبرد : الثرثرون أي الذين يكشرون تكلفاً وتجاوزاً وخروجاً عن الحق ، والمتفهق من تھق إذا امتلاً .  
نحوذ الرياء وحب القبلة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى

(١) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، ص : ٤-٣ مكتبة المعارف ، بيروت

الله عليه وسلم يقول: إن أول الناس يقضي يوم القيمة عليه، رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمته، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلنته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.<sup>١</sup>

#### **تصوير المشهد والحالة النفسية :**

في الحديث النبوي الشريف مشهد غار في جبل أحصر فيه ثلاثة أشخاص لوقوع صخرة عليهم، وظنوا أنه أحيط بهم وألا ملجاً من الله إلا إليه، فتشفعوا بالأعمال الصالحة لتكون وقاية لهم، وتصور هذه القصة القصيرة والمنظر والحالة النفسية لأصحابها :

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

(١) مسلم رقم: ٤٩٢٣، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى أواهم الميت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار.

قالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرج عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقفهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقبح على يدي انتظر استيقاظهما، حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منها.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ، وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بمحنه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها

وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فشملت أجره حتى كثرت منه

الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدْ إلَيْيَ أجرِي ، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي ، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستأقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مَا نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون<sup>١</sup>.

وقد كان الإخوة الثلاثة في الحديث السابق شاكرين، توسلوا بأعمالهم الصالحة، ففرج عنهم، وفي الحديث النبوى الآتى ثلاثة نماذج، اختبروا بكشف الغمة عنهم، وأنعم الله عليهم، كفر اثنان منهم، وشكرا الثالث، فسلبت نعمة الكافرين، وبقيت نعمة الثالث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن ثلاثة من بني إسرائيل ، أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتاى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عنى الذي قد قذرني الناس ، فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطي لوناً حسناً ، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل ، أو قال: البقر - شك الرواوى - فأعطي ناقة عشراء ، فقال: بارك الله لك فيها .

فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ، ويذهب عنى هذا الذي قد قذرني الناس ، فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطي شعراً حسناً ، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال:

(١) متفق عليه .

البقر، فأعطي بقرة حاملاً، قال بارك الله لك فيها .  
 فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصرى، فأبصر الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا، فأتوجه هذان وولدها، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم .

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكون ، قد انقطعت بي الحال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال بعيداً أتبليغ به في سفري . فقال: الحقوق كثيرة فقال: كأنني أعرفك ، ألم تكن أبصراً يقدرك الناس ، فقيراً فأعطياك الله فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر ، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد هذا ، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال: رجل مسكون وابن سبيل انقطعت بي الحال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك ، شاة أتبليغ بها في سفري ، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصرى ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عزوجل . فقال: امسك مالك فإنما ابتيلت ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك !

(١) متفق عليه .

## قصة من تكلم في المهد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، عيسى بن مريم وصاحب جريج ، وكان جريج رجلاً عابداً ، فاتخذ صومعة ، فكان فيها ، فأتته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فانصرفت ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ! لا تنته حتى ينظر إلى وجوه المؤمنات ، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغيّاً يتمثل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفتننكم ، قال : فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته ، فأمكتته من نفسها ، فوقع عليها ، فحملت ، فلما ولدت قالت : هو من جريج ، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته ، وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغي ، فولدت منك ، قال : أين الصبي ؟ فجاؤوا به ، فقال : دعوني حتى أصلي ، فصلى ، فلما انصرف أتى الصبي ، فطعن في بطنه ، وقال : يا غلام من أبوك ؟ قال : فلان الراعي ، فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به ، وقالوا : نبني لك صومعتكم من ذهب ، قال : لا ، أعيدوها من طين كما كانت ، ففعلوا ، وبينما

صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك الشדי ، وأقبل إليه ، فنظر إليه ، فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديه ، فجعل يرتفع .

قال : فكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يمحكي ارتضاعه ، بأصبعه السبابية في فمه ، فجعل يمسها .

قال : "ومروا بجارية وهم يضربونها ، ويقولون : زنيت ، سرقت وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فترك الرضاع ونظر إليها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها ، فهنا لك تراجعا الحديث ، فقالت : حلقي ! مرجل حسن الهيئة قلت : اللهم اجعل ابني مثله ، قلت : اللهم لا تجعلني مثله ، ومرروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون : زنيت ، سرقت قلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فقلت : اللهم اجعلني مثلها .

قال : إن ذلك الرجل كان جباراً قلت : اللهم لا تجعلني مثله وإن هذه يقولون لها زنيت ، ولم تزن ، وسرقت ، ولم تسرق ، فقلت : اللهم اجعلني مثلها .

هذه ثلاثة قصص من القصص الكثيرة التي اشتغلت على عرض النماذج البشرية ، وفي كل قصة ثلاثة نماذج ، لها صلة بحياة كل إنسان ، وفيها موعظة وإرشاد يهتدي بها الإنسان ، وقد ألقيت هذه الموعظة بأسلوب قصصي ، صورت فيه طبيعة الإنسان من الشكر ، ونكران الجميل ، ومن الإنابة إلى الله ، والتضرع إليه لدى

(١) متفق عليه .

وقوعه في خطر، وتسرعه إلى التهمة، وسوء الظن في بني جلدته، وما يقوم من صلة بين الأم وولدها وغيرها من الميول والتزعّمات، وكل ذلك بأسلوب سهل عذب، ومفهوم لدى جميع طبقات الناس، حتى الأطفال الصغار يستمتعون ويذكرون بهذه القصص الإنسانية.

وفي حديث الإسراء والمعراج الطويل نماذج بشرية، وتصویر للمنظر، منظر النعيم والعقاب، ووصف للأعمال التي ترتب عليها الجزاء والعقاب بالفاظ مصورة، تشخيص المنظر، والقصة إذا كانت مجردة عن تصویر المنظر، ورسم شخصية بطل القصة ووصف حالاته النفسية وانفعالاته قصة خالية من التأثير وإن كانت متضمنة لوصف الواقع، وهي قصة جلقة لا توفر، هل إنها جزء من تاريخ أو مجرد إفادة، وقد أشار إلى هذا الجمال الفني في بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الراوي وهو أبو هريرة رضي الله عنه بقوله:

”فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه بأصبعه السبابية في فيه فجعل يمسها“ وقد ازداد بذلك جمال القصة، فصارت قصة حية متحركة، ومثل هذه النماذج كثيرة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد اشتمل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على تشخيص الحالات النفسية والذهنية بصورة تحول هذه الحالات النفسية إلى صور مرئية، كما جاء في رواية أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم

بخياركم؟ قالوا: بل! قال: فخياركم الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى، ألا أخبركم بشاركم؟ قالوا: بل! قال: فشاركم، المفسدون بين الأحبة، المشاؤون بالنعيمية، الباغون البراء العنت! وفي حديث آخر ورد ذكر نموذجين للإنسان نموذج لرجل في قلبه رحمة، ونموذج لرجل ليست في قلبه رحمة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: أتقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو أملك لك أن نزع الله من قبلك الرحمة .<sup>٢</sup>

تحتفل الطبائع البشرية، ففي الناس من يميل إلى الاقتصاد، وإمساك المال، فلا ينفق من ماله، إلا على نفسه أو عياله، ومن الناس من يكثر من الكلام، ومنهم من يحترز عن الكلام ويلازم الصمت، وتوجد هذه الميول في طبائع الناس، ولهذه الطبائع تأثير على الحياة الاجتماعية، والحياة الاجتماعية تتكون من الحياة الفردية، وقد اشتغلت الأحاديث النبوية على معالجة هذه الطبائع البشرية، وتسديدها، فهي في الوقت الذي تبين فيه الفروق بين الطبائع البشرية وتعالج إعوجاج هذه الطبائع وتقومها، كما ورد في حديث تقبيل الأولاد ورحمة القلوب .

**إكرام الجار، إكرام الضيف، حسن الكلام أو الصمت :**

عن أبي شريح العدوي قال سمعت أذناي وأبصرت عيناي

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم: ٢٧٦٠١.

(٢) صحيح البخاري، رقم: ٥٩٥٨، ومسلم ، رقم: ٦٩٢٧.

حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه جائزته، ومن كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت<sup>١</sup>

وفي حديث آخر عن عبد الله بن المساور قال: سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع".

١) البخاري رقم: ٦٠١٩ ، ومسلم ، رقم: ١٧٣ - ١٧٦ .

## الرحلة العجازية ومناهج المؤلفين فيها في العصر الحديث

إن الرحلة ووصفها صنف من أصناف الأدب، في كل لغة من لغات العالم، لأن الرحلة تنقل الإنسان من حالة إلى حالة أخرى، ومن مكان إلى مكان آخر، ويلتقطي المرتحل في خلالها برجال وأصناف من الناس، ويواجهه أوضاعاً مختلفة وتتغير حالته الذهنية، ويشاهد مواضع الجمال والقبح، والمحاسن والمساوي ، ويتجرب ما لذ وطاب ، وما خشن وما تعسر ، فإذا كان المرتحل ذا شعور مرهف ، ويمتلك قدرة بيانية ، وصف كل ما شاهده وجربه ، وكل ما أحس به ، وتجدد في ذهنه معان وخواطر ، ويعلق عليها باعتبار شعوره ووجوداته ، وباعتبار ثقافته وعلمه ، فيحمل وصفه مادة علمية وفنية ، تفيد غيره ، ويشتمل أدب الرحلة على فن وأدب وعلم ، ويلتقطي فيه الوصف والمدح ، والتصوير للمناظر ، وتشخيص الأحساس ، ورسم الشخصيات ، ويلتقطي فيه علم التاريخ ، والجغرافية ، والسياسة ، والدين ، ومشاهد الحياة والطبيعة ، والنفس والمجتمع .

وقد كانت الرحلة عند العرب بصفة خاصة ميزة من مزايا الحياة ، تميزهم عن غيرهم من الأمم ، لأنهم بحكم طبيعة حياتهم

وموضعهم قوم رحل ، لا يستقرُون في مكان ، كما قال شاعر عربي  
جاهلي :

ونحن أناس لا حجاز      مع الغيث ما نلقى ومن

وقد وصف العرب رحلاتهم في أدبهم ، نثرهم ونظمهم ،  
وظل السفر ووصفه صنفاً من أصناف الأدب العربي ، فلا تخلو  
قصيدة طويلة من قصائد العرب في الجاهلية من وصف السفر  
والارتحال ، ولا حاجة إلى ذكر أمثلة وهي كثيرة وعامة ، سواء في  
العلاقات ، أو القصائد الأخرى ويکاد يصبح وصف الارتحال سمة  
للشعر العربي .

عرفت بعض القبائل بالرحلة لأغراض التجارة ، وهي  
آمنة ، فإذا كانت بعض القبائل ، ورجالها يرحلون ويختارون  
بالعربية ، ويصفون مهالكها ، و מגامراتها ، و متعها ، و شقائها ،  
لأنهم مضطرون إلى الارتحال من مكان إلى مكان ، كما قال  
الأخنس بن شريق ، أو كما يصف تأبط شرا ، أو الشنفري ، أو  
السليك بن أبي السلكة ، كانت قبائل آمنة تقوم بالرحلة للتجارة ،  
كمَا كان بعض المرتحلين يرتحلون لزيارة الأمراء والأغنياء لطلب  
المال ، ف كانوا يصفون مناظر السفر الطويل ، ويصفون القصور ،  
وسكان القصور ومناظرها .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الرحلة في سورة  
مستقلة «إِلَيْلَافٍ قُرَيْشٍ، إِلَيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ،  
فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ  
خَوْفٍ» [سورة قريش ١-٣] وذكر القرآن الكريم رحلات كثيرة ،

ووصف مشاهدها كرحلة موسى عليه السلام للقاء خضر عليه السلام وهي رحلة علمية، ورحلته لدى خروجه من مصر خائفاً يتربّب، ورحلة إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر في طلب الرزق، ورحلة سليمان عليه السلام، ورحلة ذي القرنين، وتشتمل جميع هذه الرحلات على صور بيانية مؤثرة.

وتذكر كتب التاريخ أن العرب كانوا يرتادون إلى الهند، وفارس، والروم للتجارة، ووصف بعض هذه الرحلات التي اشتتملت على المغامرات محفوظ في كتب التاريخ والتراجم.

وفي العهد الإسلامي ازداد هذا الاتجاه، فخرج العرب من بلادهم، ووصلوا إلى أبعد أماكن الأرض، وبلغت قواقلهم إلى إفريقيا وأوروبا، وأقصى الشرق في أوائل القرن الأول، وكانت هذه الرحلات للجهاد وللدعوة، وللعلم وللتجارة، تحملوا في هذه الرحلات شدائد ومحناً لم تتحملها الأمم الأخرى، واشتملت كتب المغازي والسير على وصف هذه الرحلات.

وقد حثَ القرآن الكريم على السفر والسياحة لتوسيع المعرفة والتذير في آيات الله، والتذكرة بروبة عواقب الأمم السابقة، وذكر السفر والسياحة، ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة.

فالرحلة طبيعة عربية، وهي صنف من أصناف الأدب العربي، القديم والحديث، وهي طبيعة إسلامية كذلك، وقد وسع دائريتها المسلمون سواء كان خروجهم في الدعوة، أم كان في الجهاد، أم في السفارة إلى الملوك والحكام، أم كان في طلب العلم، أم كان في طلب الرزق وكان الخروج من الوطن، وقطع مسافات

طويلة، وتحمل الشدائـد فيها، والرحلة إلى أرض جديدة، والالتقاء بأمم أخرى سمة الحياة الإسلامية، وسجل كثـير من هؤلاء المرتـحـلـين انطبـاعـاتـهم بـأـسـلـوبـ مؤـثرـ جـمـيلـ، وـقـصـةـ جـعـفـرـ بنـ أبيـ طـالـبـ لـدـىـ النـجـاشـيـ، وـقـصـةـ هـجـرـةـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ منـ مـكـةـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ، وـقـصـةـ رـبـيـ عـلـىـ بـنـ عـامـرـ لـدـىـ رـسـتـمـ، وـقـصـةـ الـخـرـوجـ لـغـزـوـةـ تـبـوـكـ، وـحـدـيـثـ الإـلـفـكـ، وـقـصـةـ الإـسـرـاءـ وـالـمـعـارـاجـ، وـقـصـةـ سـيـدـنـاـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ لـدـىـ فـتـحـ الـقـدـسـ، نـمـاذـجـ رـائـعةـ لأـدـبـ الرـحـلـةـ فيـ الـعـصـرـ الـإـسـلـامـيـ الـأـوـلـ.

وتشتمـلـ كـتـبـ التـارـيـخـ وـالـتـرـاجـمـ عـلـىـ أـدـبـ الرـحـلـةـ فيـ طـلـبـ الـعـلـمـ وـالـعـلـمـاءـ الـبـاحـثـينـ فيـ السـفـرـ.

ونـشـأـ فيـ الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ الـأـوـلـ قـسـمـ جـدـيدـ منـ أـدـبـ الرـحـلـةـ، وـهـيـ الرـحـلـةـ الـخـيـالـيـةـ، وـتـمـثـلـ هـذـهـ الرـحـلـةـ رـسـالـةـ الـغـفـرـانـ لـأـبـيـ الـعـلـاءـ الـمـعـريـ، وـالـقـوـابـعـ وـالـزـوـابـعـ لـأـبـنـ شـهـيـدـ الـأـنـدـلـسـيـ، وـهـمـاـ أـثـرـانـ أـدـبـيـانـ لـهـمـاـ صـلـةـ بـالـرـحـلـةـ، وـإـنـ كـانـتـ هـذـهـ الرـحـلـةـ خـيـالـيـةـ.

وـمـنـ أـصـنـافـ أـدـبـ الرـحـلـةـ الرـحـلـةـ الـحـجازـيـةـ، وـهـيـ الرـحـلـةـ للـحـجـ وـالـعـمـرـةـ، يـصـفـ فـيـهاـ العـازـمـ عـلـىـ الـحـجـ وـالـعـمـرـةـ سـفـرـهـ منـ بـلـدـهـ إـلـىـ الـبـلـادـ الـمـقـدـسـةـ، وـيـصـفـ مـاـ جـرـيـهـ مـنـ رـحـلـتـهـ، وـيـصـفـ مـشـاعـرـهـ، وـيـصـورـ مـنـاظـرـ خـلـابـةـ، وـيـصـفـ وـعـثـاءـ السـفـرـ، لـأـنـهـ يـمـرـ بـالـجـبـالـ وـالـوـدـيـانـ، وـالـمـرـوـجـ وـالـبـيـدـ، وـالـغـابـاتـ وـالـبـحـارـ وـالـأـنـهـارـ، وـيـلـتـقـيـ فـيـهاـ بـرـجـالـ، وـيـصـادـفـ الـأـخـطـارـ، وـالـمـخـاـفـ، فـتـشـتـمـلـ رـحـلـتـهـ عـلـىـ وـصـفـ وـمـدـحـ، وـتـصـوـرـ لـلـمـنـاظـرـ، وـتـشـخـصـ لـلـأـحـاسـيـسـ الـذـهـنـيـةـ، وـرـسـمـ لـلـشـخـصـيـاتـ، وـالـمـوـادـ الـعـلـمـيـةـ

والجغرافية، والأحوال الاجتماعية، والرحلة الحجازية، هو صنف إسلامي خالص، رغم كونه صنفاً أدبياً خالصاً باعتبار المواد الأدبية، واشترك في التأليف فيها كبار الأدباء في عصور مختلفة، وقائمة الكتاب في هذا الصنف طويلة، وتوجد نماذجها في كل لغة من لغات المسلمين مثل المدايم النبوية التي توجد في كل لغة من لغات المسلمين، وقد وصف القرآن الكريم هذه الرحلة بأسلوبه المعجز الموجز فقال: ﴿وَادْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ، ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَّهُمْ وَلَيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيُطْوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُّمَاتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٢٧-٣٠]

#### مناهج الكتاب

تحتختلف مناهج الكتاب في وصف الرحلة الحجازية باختلاف طبائعهم وثقافتهم، فيغلب على بعض الرحلات الطابع الجغرافي، إذا كان الكاتب مهتماً بجغرافية الأماكن التي زارها، ولا يطغى ذلك على العنصر الفني، لأن الرحلة عندما تنقله إلى الأماكن المقدسة التي يشتاق إليها، وكان حريصاً على زيارتها منذ مدة إذا وقع بصره عليها فاضت قريحته، وثارت الأشجان والأشواق، فتصبح هذه القطعة أدبية خالصة، ويبدو كأنه وصف لديار الحبيب، فإن انتقل إلى جوانب أخرى انتقل بعد تحيتها تحية لائلة، ومنهج كاتب آخر، منهج علمي رزين هادئ، وغير منهج

وصف للمناظر، والعرض الجغرافي .

ونقدم فيما يلي بعض نماذج هذه الناھج المختلفة، نقدم  
أولاً نماذج العرض الفني الوجданی، وقد اخترناه من كتاب "من  
نفحات الحرث" للأدیب الكبير الأستاذ علی الطنطاوی، وهو  
يصف حالتہ برأیة جبال المدینة، ونجد فيها کیف انتقل من حالة  
عادية إلى حالة عاطفية يقول:  
"صحت بالدلیل :

يا محمد ایش تكون هذه الجبال؟

فقال: هذه ياخوي جبال المدینة، ونحن إن شاء الله الظهر  
فيها .

قلتُ ما تقول بي؟ وثبت وثبة تطایر منها اليأس والخمول  
عن عاتقی، وأحسست كأن قد صب في أعصابي عزم أمة، وقوه  
جيشه، وظننت أنني لو أردت السحاب لنلتنه، ولو غالبت الأسود  
لغلبتها، ولو قبضت على الصخر لفسته، وجعلت أقفز وأصرخ،  
لا أعي وما أنا فاعل، فقد استخفني الفرح، وسرني من هذه  
الكلمة أكثر من يسرني أن يقال لي: أنت أمیر المؤمنین .  
وصحت بأصحابي وقاموا كالأسود .

واقرأوا هذا الوصف للأماكن، وبيان الموقع الجغرافي وكله  
بأسلوب أدبي.

ولما خرجنا من الوادی، وانتهينا إلى الفضاء الرحب، رأينا  
وجه أحد، وعلى سفحه التخليل والبساتین، ورأينا سلعاً وهو  
جبل عال أسود يقوم حیال أحد، فيحجب المدینة وراءه، فلا

يبدو منها إلا جانب الحرّة، وطرف التخييل، فذكرت قول محمد بن عبد الملك الزيات وقد ورد ببغداد، فحنّ إلى المدينة :  
 ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بسلح ولم تغلق عليّ دروب  
 وهل أحد باد لنا وكأنه حصان أمام المقربات حبيب  
 فيبدو لعييني تارة ويغيب  
 وهل شعر يكون أكثر تأثيراً من هذا البيت :

فإن شفائي نظرة إن نظرتها  
 إلى أحد والحرتان قريب  
 على كل نجم في السماء رقيب  
 واشتاق للبرق اليماني إن بدا

إن الأسواق التي عبر عنها الشعراء هي أشواق مادية زائلة  
 ، سواء كان بيت أمرو القيس.

وإن شفائي عبرة مهراقة  
 فهل عند رسم دارس من  
 أو قول شاعر عربي :

هواي مع الركب اليماني جنيب وجثمانى بمكة موثق  
 أما الأسواق التي يذكرها محمد بن عبد الملك فهي أشواق  
 روحانية خالدة، ووصفها وصف خالص ومؤثر يعالج القلب  
 تأثيراً مباشراً.

وعندما يدخل هذا المشتاق حماه الذي تخيله وتصوره في  
 ذهنه، وعشقه، وحنّ إليه في حياته كلها، فكتب يقول وهو  
 يصف حيرته وهي حيرة العاشق، إذا وقف أمام حبيبه أو منزل  
 حبيبه فيقول :

"نظرت في خريطة للمدينة كانت معي ، وقلت للدليل ، أما هذا (ذباب) قال : بلى والله فما يدريك أنت : قلت أما هذا (مسجد الراية) ؟ قال : بلى ! قلت : هذه ثنية الوداع ، وخفق قلبي خفقاتاً شديداً ، وخالطني شعور بالهيبة من دخول المدينة ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما في نفسي من الفرح والسرور ، وجعلت أتأمل المدينة ، وقد دنونا منها ، حتى لقد كدنا نصير بين بيوتها ، وأحدق بالقبة ، وتحتها أفضل من مشي على الأرض ، وقد شخص بصرى ، وكدت لا أرى ما كان حولي لفترط ما أحس من جيشان العواطف في نفسي ، حتى غامت المشاهد في عيني ، وتدخلت كأنها صورة يضطرب بها الماء ، وأحسست كأنني قد خرجمت من نفسي ، وانفصلت عن حاضري ، وذهبت أعيش في عالم طلق ، لا أثر فيه لقيود الزمان والمكان" .

ويقول :

"ونظرت فإذا السيارات أمام باب السلام ، فأشرأبت الأعناق ، وبرقت الأبصار ، ودمعت العيون ، وخفقت القلوب ، وتعالى الهتاف ، ونزلنا ندخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت حال لا سبيل إلى وصفها قط ، اللهم اجعل لنا إلى تلك البقاع التي شرفتها بـ محمد معاً" !

ويصل هذا الملهوف والمشتاق إلى مكة ، ويأتي موعد زيارة الكعبة فيخاطب صحبه :

"كأنكم تدنون من الحبيب ودونه الحجب والأستار ، فلا

تزال ترفع لكم حجاباً بعد حجاب، وستراً بعد ستر حتى تروا طلعة الحبيب، وأين طلعته من طلعة الكعبة، وقبلة الإسلام، ومهوى القلوب .

ها هي ذي الكعبة يا ناس، هذا الحطيم، وزمزم، والمقام،  
لقد صحت الرؤي، وتحققت الأحلام .

ويصف الطواف، ثم يقول وهو يشعر بأنه عاجز عن البيان.  
”إنه ليس الوصف كالعيان، ولا يستطيع قلم ولا لسان أن يصف لكم هاتيك العواطف السماوية التي تملأ قلب المسلم، إنه يطوف بالكعبة، فيخرج من حاضره وينسى دنياه ” .

إن هذا الكاتب الذي ذكرنا أمثلته من رحلته الحجازية هو عربي يعيش في جوار البلد الذي زاره، وهو ليس بغرير، فإذا كانت هذه رحلة أديب يعيش على بعد آلاف الأميال، فكم تثور عواطفه وتهيج شجونه .

يقول الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوبي في كتابه ”الطريق إلى المدينة“ وهو يعلل أسباب الشوق والهياق الذي تزخر به المدائح النبوية في اللغتين الفارسية والهندية، ”علل ذلك بعضهم بالبعد والهجر، فلهما تأثير غريب في تفجير منابع القلب والحب، وتوليد المعاني الغريبة، وإشعال الموهاب الدفينة“ .

وهذه انطباعات نفس الكاتب الذي يزور المدينة المنورة، فيصف حاله وأشواقه، ويتصور عظمة المكان وقدسيته وتأثيره

(١) من نفحات الحر، لعلي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق ص ٩٧-١٥٧

(٢) الطريق إلى المدينة للشيخ الندوبي ص: ٩٨، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الهند

على قلب الملهف الولهان فيقول :

"توجهت بعد الحج إلى المدينة المنورة على جناح الشوق ،  
يحدوني حادي الحب والوفاء ، أتحمل متاعب السفر ، وأتمثل ذلك  
الراكب الأول الذي ملا الفضاء نوراً وسكينة ، ووصلت إلى المدينة  
المدينة ، وصلت ركعتين في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم  
وحمدت الله على ذلك ، ثم وقفت وأنا مثقل بمن لا أستطيع أن  
أكافئها ، ولا أستطيع أن أقضى حقها ، وصلت عليه صلى الله  
عليه وسلم ، وسلمت عليه صلى الله عليه وسلم ، وشهدت أنه  
صلى الله عليه وسلم ، قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح  
الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين ،  
وسلمت على صاحبيه الوفيين الأمينين اللذين لم يعرف التاريخ  
البشري صاحباً أوفي لصاحبه منهما ، ولا خليفة أقوى على حمل  
أعباء الخلافة ، منهمما رضي الله عنهم وأرضاهما ، ثم توجهت إلى  
البعير ، تلك القطعة الصغيرة التي تحتضن أعظم ثروة في الصدق  
والصفاء ، والخلة والوفاء ، وهناك رجال آثروا الآخرة على الدنيا ،  
وآثروا الغربة والهجرة في سبيل الإيمان والعقيدة على البقاء في  
الوطن في سبيل الشهوة والراحة ، وآثروا جوار الرسول الله صلى  
الله عليه وسلم على جوار الأحبة والأقارب ، فلم يغوا عنها  
حولاً ، ولم يطلبوا له بدلاً ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا  
اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب : الآية ٢٣]

وتوجهت إلى أحد ، تلك القطعة التي مثلت أروع روایة  
وأعظمها تأثيراً على تاريخ الإنسانية ، روایة الإيمان واليقين ، روایة

البطولة والوفاء، رواية الحب الطاهر والولاء النادر، وكأنني أسمع من أنس بن النضر "إني لأجد ريح الجنة من دون أحد" ويقول سعد بن معاذ: ماذا نصنع بالحرب بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد طار في الناس أنه قتل ، فيقول أنس ، ماذا نصنع بالحياة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وهنا في أحد ترس أبو دجانة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره والنبل يقع فيه ، وهنا ترس طلحة بيده حتى شلت ، وهنا قتل حمزة ومثل به ، وقتل مصعب بن عمير ، أنعم فتيان قريش عيشاً ، ولم يجدوا ما يكفونه به إلا الكساء الذي لا يغطي كل جسده ، يا ليت أحداً أغار العالم شيئاً من هذا الحب والولاء ، وأهدى للعالم شيئاً من الإيمان واليقين ، فتبدل الأرض غير الأرض ، والعالم غير العالم".

هذا نموذجان للكتابة الأدبية الفنية التي اشتغلت على العواطف ، وإليكم نموذجاً آخر ، أسلوبه أسلوب هادئ ، تحليلي علمي ، لأن الكاتب باحث محقق أديب يركز على النقط العلمية ، ومواضع الاختلاف ، وآراء العلماء والأدباء ، فينتقل من وصفه للأماكن إلى المباحث العلمية حولها .

إنه مأخوذ من رحلة الحج إلى بيت الله الحرام للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ، وقد سافر من موريتانيا إلى الحجاز ، والعلامة الشنقيطي فقيه ، فينتقل ذهنه إلى المسائل الفقهية ، كما ينتقل ذهنه إلى المسائل التحوية واللغوية التي ذكرها بمناسبة لقاءاته ، أو أسئلة علمية وجهت إليه خلال زيارته من أدب ونحو ، وفقه وأصول ،

(١) الطريق إلى المدينة للشيخ التدوبي ص: ٧٢ - ٧٤.

وتفسير وعقائد، ومنطق، وتاريخ وبيئة وطبيعة.  
وقد كتب الأستاذ عطيه محمد سالم أحد تلاميذ الشيخ  
مؤلف الرحلة في تكريمه لهذه الرحلة، وبيان ما تتميز فيه عن  
غيرها من الرحلات الحجازية فقال :

"يغلب على أساليب الرحلات ومواضيعاتها أن يكون مبنها  
عرض خط السير من منطلق صاحبها إلى منتهاء، وتسجيل معالم  
الطريق، وأحداث المسير، وما جرى لصاحبها من أحداث تسر، أو  
تحزن، وتضحك، أو تبكي، وكل ما تشتمل عليه مجالس أدبية أو  
مباحث علمية، وبين أيدينا من أشهر الرحلات، رحلة ابن  
بطوطة، ورحلة ابن جبير، وكلاهما رحلا من المغرب إلى الحجاز،  
وعادا إلى بلدهما، فلم تجد فيهما من المجالات العلمية أكثر من  
عرض لمشاعر الحج ."

ولم أقف على رحلة عنيت بمسائل علمية، أو مجالس  
العلماء، ومباحث دقيقة وجليلة، اللهم إلا رحلة النابلسي إلى  
المدينة المنورة، فقد بسط فيها مباحث فقهية وأحاديث نبوية، وإن  
كانت لم تتعرض لشيء من المعمول كالمنطق والأصول، ورحلة  
أبي علي القالي .

وهذه الرحلة التي أتشرف بالتقديم لها، قد تميزت عن  
جميع الرحلات لما زخرت به من مباحث غاية في الدقة، وأية في  
الروعة<sup>١</sup> .

ومؤلف الرحلة الشيخ أمين الشنقيطي، يبين نفسه منهجه في

(١) مقدمة "رحلة الحج إلى بيت الله الحرام" للعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص: ٧-٦

رحلته فيقول ! "فليكن في علم ناظره أنا أردننا تقيد خبر رحلتنا هذه إلى بيت الله الحرام، ثم إلى مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ليستفاد بما تضمنته من المذاكرة والآحكام، وأخبار البلاد والرجال، وما تجول فيه الأدباء من المجال، والغرض الأكبر من ذلك تقيد ما أجبنا به عن كل سؤال علمي سئلنا عنه في جميع رحلتنا" .<sup>(٢)</sup>

إنه يبدأ رحلته بقوله :

"خرجنا من عند أهلنا بجانب الوادي ذي البطاح والمياه والنخيل، وودعنا كل قريب وخليل، والبين يهيج في القلوب الداء الدخيل، فنرى ورد الخدود يطله جمود الدموع، والأعين تنكر السنة والهجوع، ماء العيون في الجفن حائر حسبما قال الشاعر :

ولما شجاني أنها يوم  
تولت وماء العين في  
فلما أعادت من بعيد  
إلى التفاتاً أسلنته  
وكان يوم الخروج لهذه القاعدة الكبيرة لسبع مضمين من  
جمادى الآخرة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف" .<sup>(٣)</sup>  
وبعد وصف خروجه من منزله، ووصوله إلى مكان  
"كيفية" ، وإقامته هناك لمدة قليلة، يقول :

"سألتنا كريمة من بنات العم وهي أم الخيرات بنت أحمد بن المختار الجنكية عن مسألتين، أولاهما الفرق بين علم الجنس واسم

(٢) نفس المصدر ص: ٤٠.

(٣) نفس المصدر ص: ٤١ - ٤٠.

الجنس ، والثانية قول المتكلمين ، إن الصفة النفسية لا يدرك بدونها الموصوف ، وإن الإنسان مثلاً بدون النطق غير معروف".

ويجيب الشيخ عن السؤالين بالتفصيل في رحلته ثم يقول "وصلنا قرية تامشكط عند صلاة المغرب فزارنا جلَّ من فيها من الأكابر والعلماء ، وعاملونا معاملة الكرماء ، وكنا في ضيافة الرئيس سيدى أحمد بن العربي" .

ويقول : "وما دار في أثناء تلك المذاكرة السؤال عن مسألتين إحداهما بيان كيفية استحالة تسلسل هيولى العالم" .

ويبحث المؤلف هذه المسألة ثم استأنف رحلته فكتب : "ثم سرنا متوجهين تلقاء قرية "العيون" ، والعيون التي تسمى بها القرية عيون متعددة متفجرة من جبال هناك ، يقال لها باللسان الدارجي "عيون العتروس" وهو بلسانهم الدارجي التيس ، فقابلنا من فيها من الفضلاء باللائق من الإكرام والتجليل وبالغ في إكرامنا قاضيها مع هدية سنية وأخلاق مدنية" .<sup>٢</sup>

وينتقل إلى بعض المسائل الفقهية التي جرت في مجلس القاضي ، وهكذا ينتقل من مكان إلى مكان في رحلته ويدرك المسائل التي توجه إليه ويدرك جوابه .

#### **السائل الفاوية :**

يقول :

"طلب منا بعض القوم أن نبين لهم تنقیح المناط ، وتخریج المناط ، وتحقيق المناط ، فكان جوابنا :

(١) نفس المصدر ص: ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ص: ٥٣ .

المناط بفتح الميم هو علة الحكم .

والمناط في اللغة ، مكان النوط وهو تعليق الشيء على شيء  
وإلاصاقه به ، كما قال حسان رضي الله عنه :  
وأنت زنيم نيط من آل     كما نيط خلف الراكب القدح  
وقال أبو تمام :

أحب بلاد الله ما بين منبع     إلى وسلمى أن يصوب  
بلاد بها نيطت على تائمي     وأول أرض مس جلدي  
وسميت العلة مناطاً لربط الحكم بها وتعليقه عليها<sup>(١)</sup> .  
ثم يبحث تقييح المناط وتخرج المناط .

يدرك الشیخ هذه المجالس العلمية خلال رحلته من بلده إلى  
أم درمان ، ويصف في آخر الرحلة توجهه إلى الحجاز ، فيصف  
رحلته ، وبين خروجه من بلده إلى ركوبه سفينة الحجاج في أم  
درمان في ٢٥٤ صفحة ، استغرقها كلها في مسائل فقهية ، ولغوية ،  
وبلاغية وأصولية ، واستقباله الذي قويل به في كل محطة نزل بها .  
يقول : "ركبنا في السفينة متوجهين إلى جدة ، فمكثت  
السفينة بنا يوماً وليلة في البحر ، ثم نزلنا من الغد في جدة ، فنزلنا  
في بيت لآل جمجوم غموسي لنزول أهل قطرنا ، فمكثنا ليلتين في  
جدة ، ولم نجتمع بأحد من أهلها .

ركبنا من جده بعد صلاة المغرب محترمين مليئين تلبية النبي  
صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك

(١) نفس المصدر ص: ١٥٧

لبيك، إن الحمد والنعمه لك ، والملك لا شريك لك<sup>(١)</sup>.  
ويبحث الشيخ مسألة الإحرام فقهياً، ويقول: "كان  
إحراماً بالحج مفرداً، لأن الإفراد في مذهبنا أفضل من التمتع  
والقرآن".

ويذكر الأدلة الفقهية إيجاباً وسلباً.

ويصف العلامة أمين الشنقيطي دخوله في مكة المكرمة :  
"ثم دخلنا مكة المكرمة تلك الليلة محремين ملبين تلبية النبي  
صلى الله عليه وسلم ، وطفنا تلك الليلة طواف القدوم ، وسعينا  
بعده بين الصفا والمروءة ، وكنا عند دخولنا المسجد الحرام قلنا:  
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القويم من الشيطان  
الرجيم ، اللهم افتح لنا أبواب رحمتك".

وعندما وقعت أبصارنا على الكعبة المشرفة ، قلنا اللهم زد  
هذا البيت تشريفاً وتكريراً وتعظيماً ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه  
لمن حجه أو اعتمره تشريفاً وتكريراً وتعظيماً وبراً ، ثم ابتدأنا  
طوافنا من ركن الحجر ، فقبلنا الحجر الأسود وقلنا: "بسم الله الرحمن الرحيم  
أكبر وله الحمد"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا تسير رحلة العلامة أمين الشنقيطي الحجازية ، وهي  
من أولها إلى آخرها رحلة علمية ، يجدد القارئ فيها مجالس علمية ،  
ومباحثات فقهية ، ولغوية وبلاغية ، ولا يجد فيها وصفاً لمنظر ، أو  
تعبيرًا عن عواطف ، لأن طبيعة الكاتب وذوقه علمي خالص ،  
كمالاً نجد فيها بحثاً جغرافياً ولا تاريخياً كعادة الرحال ، إلا أن

(١) نفس المصدر ص: ٢٥٥.

(٢) نفس المصدر ص: ٢٦٧-٢٦٨.

الرحلة حافلة بالمواد العلمية، والفوائد اللغوية، وبيدو الكاتب في المجالس العلمية حيث يقيم أو يمكث يوماً أو يومين، مرجعاً توجهه إليه الأسئلة التي يثار فيها الباحثون، وهو يحمل المشكل منها، وعندما يصل إلى الأماكن المقدسة ينزل من مرتبته العلمية، ويصبح زائراً عادياً ويسوده الخشوع والخشمة.

وهنا نموذج آخر وهو عبارة عن وصف أدبي وتأثير قلبي بمشاهدة الديار الحبيبة، أبدع في وصفها الكاتب الأديب، وهو محمد حسين هيكل في كتابه "منزل الوحي" وكم يختلف هذا الوصف من وصف الكاتب السابق الذكر.

اقرأوا وصفه لمدينة جدة أول ظهورها له وهو في الباخرة :  
 "اقتربنا من جدة، وبدت لนาظرها دورها وعماراتها، وزادت وضوحاً على رغم نزول الظلام، وكان مظهرها يغري بالظن أنها خططت تخطيطاً جميلاً، وبنيت على الطراز الحديث، وذلك الشأن في كل ما يبدو، وللمقبل في البحر من مظاهر اليابسة، فإذا اقتحمناه كنا كالجراح إذ يقتحم بشرطه جسداً جميلاً، وأحسب الذين لم يعرفوا من ذلك ما عرفت قد خدعوا بمظهر جدة، وكان من حقهم أن يخدعوا بهذه المباني التي تتد أمامهم على الشاطيء أميالاً في نظام زاده البعد اتساقاً وجمالاً".  
 وفي رحلته الحجازية يقصد الطائف، ويصف الطريق إليها، ويصل إلى حيث كانت تقام قديماً سوق عكاظ ويقف ليقول :  
 "وهنا المكان الذي يقولون إنه عكاظ، أما أنا فلم أر شيئاً استطاع أن أتبيه، فقد هبطت كسف الظلام، وانطوى الوجود في

دجنة الليل، وكنا في الثالث الأخير من ذي الحجة، فلم أر للقمر في السماء من أثر، ولم تكن النجوم لتكشف من غطاء الليل شيئاً، وهذه الأودية الصامتة في رابعة النهار هي الساعة أشد صمتاً ومهابة". والذى يلاحظه الناظر في كتابته الوصفية أن أروعها ما يتناول الصور المعنوية أو المشاعر النفيسة، فها هو مثلاً يزور غار حرا في الحجاز، فتهتز نفسه لديها لذكرى النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزول القرآن عليه، ويتحطى بذهنه القرون إلى الماضي البعيد، وإذا هو مسحور بصورة ذلك اليوم الفذ في التاريخ، إذ يتراءى له النبي بعين الخيال متمداً في الغار وكأنه يسمع صوت الملك إذ يهيب بالنبي أن يقرأ فيتردد وجلاً، ويعود إليه الصوت أن أقرأ، فيجيئه ماذا اي خلق، خلق الإنسان من علّق، اقرأ ورثك الأكرم، الذي عَلِمَ بالقلم، عَلِمَ الإنسـانـاً مـا لـمْ يـعـلـمـ» [القلم: ١-٥]

وهنا يقف هيكل متأثراً فيقول :

"خيل إلي وأنا في موقفني من الغار، أني أرى هذا المشهد الفذ، وأني أسمع هذه الأصوات، فصيفدنـي الفزع مكاني ، وأقمت أنتظر ما يكون من بعد، فإذا النور الباهر يرتفع ، و محمد في الغار يتصلب عرقاً، ويدور بنظراته فيما حوله ، ويهتز مضطرباً من رأسه إلى أخمصه، ثم يفرك ويمسح بيده جبينه العريض ، المضيء سمة من يخشى مكروهاً أصابه، ويزداد به الرعب، فينطلق من الغار هائماً في شباب الجبل لعل في هواه ما يدفع عنه روعه .

هاهو ذا يقف منصتاً كأنما يناديه مناد من السماء . إنه الصوت الذي كان يحدثه في الغار . وهو يحدق في مصدر الصوت ويرى

صاحبہ فیزداد فرعاً، ویقفه الرعب مکانہ، ویلقی بنظرہ إلى الجبل، ویصرف وجهہ یمنة ویسرة، ثم لا ینفك یسمع ویری، لیست حواسہ اذن مصدر سمعہ ورؤیتہ، إنما مصدر را روحہ.

وھذا الصوت الذی اتصل به هو صوت الروح الأمین، ما أشد هذه الساعة هولاً، وهي مع ذلك للإنسانية ساعة النور والرحمة والهدی<sup>١</sup>.

ونقدم في الختام نموذجاً من الرحلة الحجازية الخيالية وهي إبداع فني رائع.

لقد عاش الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام وفيلسوف العصر- مدة حياته - في حب النبي صلى الله عليه وسلم ، والأشواق إلى مدینته ، وتغنى بهما في شعره الخالد ، وقد طفت الكأس في آخر حياته ، فكان كلما ذكرت المدينة فاضت عينه ، وانهمرت الدموع ، ولم يقدر له الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم لجسمه الضعيف الذي كان يعاني من زمان الأمراض والأقسام ، ولكنه رحل إلى الحجاز بخياله القوي ، وشعره الخصيف العذب وقلبه الولوع الحنون ، وحلق في أجواء الحجاز ، وتحدث إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بما شاء قلبه وجده وإخلاصه وفاؤه ، وتحدث إليه عن نفسه وعن عصره وعن أمته وعن مجتمعه ، وقد فاضت في هذا الحديث قريحة الشاعر ، وانفجرت المعانی والحقائق التي كان الشاعر يغالبها ويمسك بزمامها ، وينظر فرصة إطلاقها ، وقد رأى أن فرصتها قد حانت ،

(١) منزل الوحي - محمد حسين هيكل

وهذا أوانها ومكانتها، فخاطب نفسه بقول الشاعر:  
حمامة جرعى حومة الجنديل   فأنت برأى من سعاد ومسمع

فكان شعره في النبي صلى الله عليه وسلم من أبلغ أشعاره وأقواله، وكان حساسة نفسه وعصارة عمله وتجاربه، وكان تصويراً لعصره وتقريراً عن أمته، وتعبيرًا عن عواطفه.

لقد قال محمد إقبال هذه الأبيات، وهو يتخيل أنه مسافر إلى مكة والمدينة - شرفهما الله - يهوي به العيس، ويسيير به الركب على رمال وعساي يتخيل بشدة شوقه وحبه أنهم أنعم من الحرير، وإن كل ذرة من ذراتها قلب يخفق، فيطلب من السائق أن يمشي رويداً، ويرفق بهذه القلوب الخفافة، ويحدو الحادي بما لا يفهمه فتشور أشجانه، وتترنح أعطافه وتهيج شاعريته، وتنطلق قيثارته بشعر رقيق بلغ.

ثم يسعد بالثول بين يدي الرسول، فيصلني وسلم عليه بما يفتح الله به عليه، وينتهز الفرصة فيحدثه عن نفسه وبلاده، والفترة التي يعيش فيها، وعن أمته، وعن الأزمات والمشاكل التي تعانيها، وما فعل بها الزمان وطوارق الحدثان، وما فعلت بها هذه الحضارة الغربية، والفلسفات المادية، وما فعلت برسالتها والأمانة التي حملتها، وأين هي من ماضيها وخصائصها، يرثي لها تارة ويبكي، ويشكوها مرة ويعاتب، ويشكو غربته في وطنه، ووحدته في مجتمعه، وضيعة رسالته من أمته، وقد سمي هذه الجموعة بـ "هدية الحجاز" كأنها هدية حملها من الحجاز لأصدقائه وتلاميذه، ولا شك أنها هدية مباركة للعالم الإسلامي ونفحة

فائحة من نفحات الحجاز .

يقوم الشاعر بهذه الرحلة الحبيبة ، وقد أربى على الستين ، ووهنت قواه ، في سن يفضل فيها الناس الراحة والإقامة ، فما باله يسافر وهو شيخ ، وقد أضعفه المرض والشيب ، والسفر إلى الحجاز شاق مضن ، وقد نصحه الأطباء والأحبة بالراحة والهدوء ، ولكنه يعصيهم ويطيع أمر الحب ، ويلبي منادي الشوق ويقول : لقد توجهت إلى المدينة رغم شيبتي وكبر سني ، أغنى وأنشد الأبيات في سرور وحنين ، ولا عجب فإن الطائر يطير في الصحراء طول نهاره ، فإذا أدرى النهار وأقبل الليل ، رفرف بجناحيه ، وقصد وكره ليأوي إليه وبيت فيه .

كأنه يقول لماذا تعجبون إذا قصدت المدينة ، وهي وكر طائر الروح ، ومارز المؤمن في أصيل حياتي ، وفي سن أشرف فيها شمس الحياة على الغروب ، أما رأيتم الطائر إذا جن الليل أسرع إلى وكره .

بدأ محمد إقبال سفره وهو شيخ مريض ، وسارت به الناقة بين مكة والمدينة سيرا حثيثا ، وقد قال لها ، رويدك يا حبيبي ، فإن راكبك لاغب ومرتضى وكبير السن ، فمشيت في نشوة وطرب ، ولم تبال لأن الصحراء حرير تحت أرجلها .

يسير الشاعر في هذا الركب الحجازي الذي يحدو بالصلة على النبي صلى الله عليه وسلم ويريد الشاعر أن يسجد سجدة على هذه الرمضاء ، يدوم أثرها في جهته طول حياته ، ويقترب ذلك على أصحابه وزملائه ، ويلكه الشوق فيحدو وينشد أبياتا

من شعر العراقي والجامعي، فيتساءل الناس من هذا الأعجمي، الذي يغنى ويحدو بلغة لا تفهمها؟ ولكنها نغمة تشجي القلوب وتملؤها إيماناً وحناناً، حتى يذهل الرجل في هذه الصحراء عن الغداء والماء.

ويلز الشاعر بكل ما يعتريه في الطريق من سهر وعنة، وقلة طعام وشراب، ولا يستطيع الطريق ولا يستطئ الوصول، بل يقترح على سائقه أن يأخذ طريقاً أطول حتى يعيش في هذه الأسواق وفي هذا الحنين مدة أوسع، وتشتد لوعة الفراق لأنها زاد العشاق ونزة المشتاق.

وهكذا يطوي محمد إقبال هذه المسافة في سرور وحنين، حتى يصل إلى المدينة، فيقول لزميله : تعال يا صديقي نبك سروراً، ونتحدث ساعة ونرسل النفس على سجيتها، فإن لنا شأننا مع هذا الحبيب الذي أسعدنا به الحظ بعد طول فراق وشدة اشتياق.

ويقبل على نفسه فيتعجب كيف اختص من بين أقرانه بهذه السعادة، ثم يقول : لا عجب فإن المحبين المتيمين أكرم هنا من الحكماء المتفاسفين، يا سعادة الجد، ويا حسن الطالع، لقد سمح لصعلوك ملوك أن يدخل على السلاطين والملوك.

ولا يلبث محمد إقبال . وهو في هذا الفيض من السرور والسعادة أن يذكر أمته المسلمة والشعب المسلم الهندي، يذكر آلامهما وأمالهما، فيذكر كل ذلك في بلاغة الشاعر، وصدق الرائد، وما أجملهما إذا التقى، يقول :

"إن هذا المسلم البائس الذي لا تزال فيه بقية من شمم وإباء وأنفة الملوك وعزّة الآباء، لقد فقد مع الأيام يا رسول الله، لوعة القلب وإكسير الحب، إن قلبه حزين منكسر، ولكنّه لا يعرف سر ذلك".

ماذا أحدثك به يا رسول الله عن آلامه ورثيته، حسبك إنه هوى من قمة عالية، إنه هبط من تلك العليا التي وصلت به إليها، وكلما ارتفع المكان الذي يسقط منه كان ألمه شديداً، وكانت الصدمة عظيمة، فلطف الله بهذه الأمة المنكوبة الهاوية من قمة المجد العالية.

إنه لا يزال الزمان يعاديه، ولا يزال ركبـه تائـهاً في الصحراء بعيداً عن غـايـته وـمـنـزـلـهـ، حـسـبـكـ منـ هـذـهـ الأـمـةـ وـمـاـ يـسـودـ فيـهـاـ منـ الفـوـضـىـ وـالـاضـطـرـابـ أـنـهـ تـعـيـشـ مـنـ غـيـرـ إـمـامـ".

"إن غـمـدهـ فـارـغـ كـكـيـسـهـ، فـهـوـ أـعـزـلـ فـقـيرـ، إـنـ الـكـتـابـ الـذـيـ فـتـحـ بـهـ الـعـالـمـ وـضـعـهـ فـيـ بـيـتـهـ الـخـرـبـ عـلـىـ طـاقـ تـراـكـمـتـ عـلـيـهـ الـأـتـرـيـةـ، وـنسـجـ عـلـيـهـ الـعـنـكـبـوتـ".

"إـنـ أـصـبـحـ بـطـولـ عـهـدـهـ بـالـمـغـامـرـاتـ وـالـبـطـولـاتـ لـاـ يـفـهـمـ لـغـةـ الـمـغـامـرـينـ وـإـهـابـةـ الشـجـعـانـ الـجـاهـدـينـ، وـقـدـ أـلـفـ نـغـمـةـ الـمـغـنـينـ، وـعـاـشـ بـيـنـ الـرـفـرـاتـ وـالـأـتـيـنـ".

"إـنـ عـيـنـهـ فـقـدـتـ النـورـ، إـنـ قـلـبـهـ حـرـمـ السـرـورـ، إـنـ رـثـيـتـهـ إـنـ يـعـيـشـ وـلـاـ يـعـرـفـ لـذـةـ الـوـصـالـ وـالـخـضـورـ".

ثم يذكر الفرق بين ماضيه العظيم الذي كان فيه موضع رعاية وعناء واحتفاء، وحاضره القاسي الكالح، وكيف صعب

عليه أن يتكشف ويعتمد على نفسه، ويکدح في الحياة، وما أبلغ قوله .

"إنه طائر مدلل، كنت تطعمه ييدك، وقد رأيته بالفواكه  
فشق عليه البحث عن رزقه وقوته في الصحراء" .

هذه بعض نماذج الرحلات الحجازية، وهي كثيرة، وقد اخترت ثلاثة أنواع منها، النوع الأدبي الفني ، النوع العلمي ، النوع الخيالي ، وفي كل نوع من هذه الأنواع نماذج كثيرة ، وقصرت عملي وبخسي على اللغة العربية ، أما اللغة الأردية والفارسية فهي أكثر وأوسع وأكثر تأثيراً ، لأن اللغتين الأردية والفارسية هما لغتا الحب والحنان والرقة ، ولذلك فاق الشعراء فيما في المدائح النبوية غيرهم في التعبير عن عواطفهم وولائهم .

يقول الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوى وهو أديب اللغتين ، وقد قدمنا نموذجاً من كتابته العربية ، وله رحلة حجازية في اللغة الأردية باسم "من منزلني إلى بيت الله" وقد جرب كثير من القراء إن هذه الرحلة إذا قرأها أحد لم يتمالك قلبه ، وانهمرت الدموع من عينيه ، وأجهش بالبكاء ، ولا يستطيع أحد أن يقرأه قراءة واحدة .

يقول في عواطف الهنود والفرس عن النبي صلى الله عليه وسلم " وقد تحقق عند المطبعين على الأدب الإسلامي العالمي الذين درسوا آداب اللغات التي تكلمت بها الشعوب الإسلامية في بلادها ، وتذوقوا شعرها ، أن اللغة الفارسية هي أغنى ثروة ، وأسعد حظاً في المدائح النبوية من غيرها وتليها أردو التي هي سليلة الفارسية ، وأن ما قيل في إيران والهند في هذا الموضوع يمتاز

عن غيره قوة وتأثيراً، ورقة وعدوبة، وقد تجلت فيه العاطفة أقوى وأروع منها في غيره .

وكان من حق الرحلات الحجازية باللغة الأردية أن ينظر إليها، وتدرس، ولكن العواطف الجياشة والحنان المتدفق لا يترجم، ولا يقدر على نقله إلا أديب أكثر قدرة على البيان، وأنا اعترف بعجزي عن ذلك .

## دور المذاهب النبوية في الاحتفاظ بالارتباط بذات الرسول صلى الله عليه وسلم

تميز هذه الأمة عن الأمم الأخرى في العالم بالتعلق بذات الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالهدي ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وترك للأمة ما إن تمسكت به أفلحت في الدنيا والآخرة ، وأصلحت شئونها ، وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان القرآن الكريم نصاً ودستوراً للحياة الإسلامية التي تشتمل على العقيدة ، والعبادة ، والسلوك ، فالحديث النبوي الشريف شرح له وإيضاح وتفسير له ، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيق عملي له ، حسب الأوضاع والظروف المخالفة في الحياة الفردية والاجتماعية ، وهي مسجلة مدونة ، دقائقها وجلائلها ، في بطون الكتب ، ومنعكسة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين كانوا كمراة صافية ، تعكس فيها قسمات هذه الحياة الطيبة .

ظلت صلة هذه الأمة موصولة بذات الرسول ، ودعوته ، ومنهج حياته ، وإن كان الاقتداء بشمائله ، وخصاله ، جزئياً أو مفرقاً ، ولكن اتباع سنته وشريعته لم ينقطع في عصر من العصور ، وقد آثر متبعوه حسب دراستهم الخاصة جوانب من

سته، وحاولوا الاقتداء بها في حياتهم، وتمثيلها حسب المستطاع في سلوكهم وسيرتهم، كما سعدت بعض النفوس بالاقتداء بالسنة الشريفة في نطاق أوسع، اقتداء شاملًا، فكانت حياة بعض المسلمين صورة مصغرّة للمنهج النبوي العظيم في العبادة، والسلوك، والدعوة، والجهاد، ومهما كان نوع هذا الاتباع للسنة فإن الحب الغامر بذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، والشغف به ، والهياقنه به ، كان من سمات هذه الأمة التي تتميز بها عن الأمم الأخرى ولا يوجد مثل هذا الشغف في الأمم الأخرى بأصحاب دعواتها ، وفلسفاتها ، ولا في الديانات الأخرى .

لقد عرضت بعض الأمم أنبياءها ومصلحيها ، وأصحاب دعواتها بطريق يحول دون الاقتداء بهم ومحاكاة منهج حياتهم ، لأنها أحقتهم بالإله ، وخلطت بين الله ورسوله ، وتعدى هذا التصور في بعض الدوائر إلى إلحاد الأولياء والصالحين بالتقديس المفرط بالإله ، ورفعت درجتهم عن الأنبياء كما فعل ذلك أتباع مذهب تأليه الأئمة في بعض الفرق

لقد شرحَ الرسول الأعظم نوع الصلة وطبيعة الاقتداء به ، فأكَدَ كونه بشراً ، وقال في موضع : "أنا ابن امرأة تأكل القديد" ومنع في كثير من المناسبات أن يقرن اسمه باسم الله ، واحتفظ المسلمون بالتناسب الدقيق في التقديس ، فالله هو المنعم الحقيقي ، وهو البارئ ، وهو الخالق ، وهو الذي بعث رسولاً شاهداً على الناس ، سراجاً منيراً ، بشيراً ونذيراً ، وقد أوضح القرآن الكريم أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم شرط لطاعة الله ، ومحبته لمحبة

الله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] أو ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] و﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يَؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وكان عمل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أسوة للأجيال القادمة في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتعلق بذاته ، وروح الفداء له .

وأتفق المؤرخون على هذه السمة التي كان يتميز بها ذلك الجيل ، ثم توارثها الأجيال التالية ، وظل هذا الحب الغامر متدافعاً متواصلاً ، رغم مرور الزمن ، وقد روى التاريخ أعا杰يب من ذلك الحب ، فحرصت بعض النقوس على الاقتداء بشمائله حتى في اللباس ، والطعام والمشي ، والكلام ، والحياة المنزلية ، والحياة الاجتماعية ، ووجد هذا الحرص على اتباع سنته والشغف الزائد بذاته في الملوك ، والقراء ، وفي السادة ، والتابعين ، والمصلحين ، وعامة الناس ، حتى الذين لا يلتزمون عادة بكثير من القيم ، ولا يراعون التحفظ في الحياة ، يحملون هذا الحب والغرام بذات الرسول صلى الله عليه وسلم وهم مستعدون للقداء له .

والشاعر المسلم فرد من أفراد هذه الأمة ، وهو فارس الكلام ، ومهما كانت صلته بالإسلام وتعاليمه ، يعتز بالتنويه بصلة بذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتعبير عن شغفه

به، والهیام بذاته، ووصف هذا الهیام فوق الهیام بسعدي، وسعاد، ووصف جماله فوق الجمال البشري المألف، ويعتبر هذا الشغف بذاته كفاره لمدحه الملوك، والأغنياء، والنسيب والتغزل بالغولي، والفوائن، ويدع سكره بمحبة الرسول فوق كل سكر ونشوة، فأتى الشعراء بروائع شعرية .

وظل هذا الصنف من الشعر في أدب المسلمين مهما اختلفت لغاتهم وثقافتهم صنفاً فريداً في آداب العالم، وصنفاً فريداً في أصناف الأدب ذاته، لأنّه يشتمل على جميع أصناف الأدب المألفة، كالحماسة، والنسيب، والمدح، والفخر، والرثاء، والهجاء، وهي أصناف عادية تقليدية، والتعليم والإنسانية والقصة والتاريخ، وهي الأصناف المضافة إلى الأصناف التقليدية، ولذلك يستحق أن يعدّ صنفاً مستقلاً بذاته، فإن مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم شتمل على إظهار التعلق به، وذكر صفاته وفضائله، ووصف جماله، وسيرته، وتصوير بيته، وإظهار الهم على وفاته، وانقطاع الوحي بها، وتصوير المجتمع، ووصف محمد صحابته، وبيان رسالته ودعوته، والرد على أعدائه وخصومه، وذكر مفاصير أمته، وتأثيرها، وسرد بعض قصص رائعة من حياته وحياة متبعيه، فأصبح بذلك هذا الصنف أكمل وأشمل صنف من أصناف الشعر.

كان من تأثير هذا الصنف الأدبي الذي يشتمل على أصدق عاطفة وأصدق تعبير، أنه يلين النفوس، ويرقق القلوب، ويحملها على اتباع المنهج النبوى، وقد أتت المدائح النبوية بتأثير

سحري في القلوب ، وتغيرت حياة عدد من الناس بسماعها ، ولذلك شاع هذا الصنف ، وأدلى فيه كل شاعر في كل عصر دلوه ، وعده ما ساهم به في هذا المجال أفسر بضاعة له .

وكانت للهند مساهمة قيمة في هذا الصنف ، فإنها أرض الحب والهيم ، ورقة القلب ، وتتوفر فيها مؤثرات أدبية بأرضها ، ذات الزهور ، والأثمار ، والأشجار وارفة الظل ، والخمائل ، والوديان ، والجبال الشامخة المغطاة بالثلوج والنبات ، والقمم العالية والأنهر السباحة ، والألوان الزاهية والجداول المتوية ، في الخضراء المنتشرة ، وهي مناظر توحى القلب ، وتشير الشعور والوجدان ، وتحدث في القلب الشوق والحنان ، وتهب الشعراء تعبيرات رائعة للوصف والمدح ، والتعبير عن القوة والجمال ، كل ذلك ساعد على إثراء هذا الصنف وتنويعه ، وتوسيع آفاقه ، كما ساعدت عاطفة الحب والغرام التي تخص بالتربيه الهندية الرقيقة المرقة ، والشعور ببعد الدار ، وتعسر المزار ، والمشقة في الوصول إلى عتبة الرسول صلی الله عليه وسلم ، والاعتراف بالجميل والشكر على أن هذه الرسالة أنقذت المسلم الهندي من السجود لكل من هبّ ودبّ ، وأنعمت عليه بالعبادة لله وحده ، وساعد كل ذلك الشاعر على تفتق قريحته ، وأثار المسلم الهندي ، وأفاض عواطفه .

أنشد الشيخ عبد المقتدر الكندي المتوفى في عام ٥٧٩١هـ ،

قصيدة في مدح النبي صلی الله عليه وسلم مطلعها :  
يا سائق الظعن في الأسحار سلم على دار سلمى وأبك ثم

يقول بعد التشبيب وبيان فضائل الزهد في الحياة :

يا أيها الناس إن العمر في سفر  
 وإن المنايا بلا شك لآتية  
 وأنتم في المني والمين والكسيل  
 ولهم يكثرون فخره إلا بعزة من  
 وذى قصاص بفضل الله كم تفل  
 محمد خير خلق الله قاطبة  
 أعني الأعاجم والأعراض  
 له المزايا بلا نقص ولا شبه  
 هو الذي جل عن مثل وعن  
 له المكارم أبهى من نجوم دجى  
 له العطايا بلا من ولا بدل  
 له العزائم أمضى من قنا البطل  
 له الجمال إذا ما الشمس قد  
 إليه قالت ألا ليت ذلك لي  
 وقال الشيخ أحمد التهانيسري المتوفى ١٨٢٠هـ تلميذ الشيخ  
 عبد المقتدر النكدي وهو من أوائل الشعراء في المديح النبوى  
 الشريف، يقول في قصيدة عربية:  
 والنفس والمال والأهلين  
 أفيديك بالروح والقلب المشوق  
 وطال شوقي إلى لقياك يا  
 قد عاقيني بعد عن مرماي يا  
 ويا فؤادي ويا ظهري ويا  
 مالي إليك بقطع اليد من  
 وطال شوقي إلى لقياك يا  
 وليس باصطبار عنك من  
 ثم يقول وقد أجاد الوصف وتنعكس فيه البيئة الهندية:  
 على النبي نبى الحق والرشد  
 يا رب صل وسلم دائمًا أبدًا  
 إلى الصراط صراط غير  
 محمد أحمد الهدى لأمته  
 أحبهم شغفًا في الغيب والعتد  
 وصحبه وذويه الطاهرين

ما لاح برق وما سحّ الغمام  
 وأغدق الروض بالأزهار  
 وما تفرد غريد على فنن  
 ويقول حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف  
 بالشهاد ولبي الله الدلهي المتوفى عام ١١٧٦هـ في قصيدة رائعة في  
 مدح النبي صلى الله عليه وسلم ين فيها صلته بذات الرسول الله  
 عليه وسلم - ويرجو شفاعته يوم القيمة :

كأن نجوماً أو مضت في  
 إذا كان قلب المرء في الأمير  
 وتشغلني عنني وعن كل  
 إذا ما أتنى أزمة مدلهمة  
 تطلبت هل من ناصر أو  
 فلست أرى إلا الحبيب محمدأ  
 ومعتصم المكروب في كل  
 ملاذ عباد الله ملجاً خوفهم  
 إذا ما أتوا نوحاً وموسى وأدما  
 فما كان يغنى عنهم عند هذه  
 هناك رسول الله ينجو لربه  
 فيرجع مسروراً بنيل طلابه  
 عيون الأفاسع أو رؤوس  
 فأضيق من تسعين رحب  
 مصابئ تقو مثلاها في  
 تحيط بنفسي من جميع  
 الوذبه من خوف سوء  
 رسول إله الخلق جمّ المناقب  
 ومتاجع الغفران من كل تائب  
 إذا جاء يوم فيه شيب  
 وقد هالهم ابصار تلك  
 نبي ولم يظفرهم بالمسارب  
 شفيعاً وفتحاً لباب المواهب  
 أصاب من الرحمن أعلى

وبعد هذه الآيات يذكر ولی الله الدهلوی مآثر الرسول صلی الله علیه وسلم وما احتمله من مکروه في الدعوة الإسلامية، وتحمله من أذى، ويذكر أهم أحداث السیرة، ودور الصحابة رضوان الله علیهم أجمعین في نشر الإسلام.

إن هذا المنهج مدح الرسول صلی الله علیه وسلم لا يتناهى مع الحمد لله تعالى، فإنه هو الواهب المنان، وهو القادر المطلق، وكل ما يحدث من تصرف إنما هو من عند الله، وبأمر من الله، وينسب الشاعر الفضل إلى الله، كما قال سیدنا عیسیٰ عليه السلام "أبیر الأکمه والأبرص وأوحي الموتی بـإذن الله" وجاء في القرآن الكريم **﴿وَمَا رَمِيتَ إِذْ رَمِيتَ وَلَكِنَ اللَّهُ رَمَيَ﴾** [الأفال: ١٧] وقوله **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاء﴾** [القصص: ٥٦] وقد قرن القرآن طاعة الله بطاعة الرسول، ومحبة الله بمحبة الرسول صلی الله علیه وسلم في مواضع كثيرة.

وقد أفرط بعض الشعراء ووقعوا في نوع من المبالغة في المدح، لكنه تعیير عن الحب الغامر التابع عن الاعتقاد بأن مدح الرسول يرضي الله تعالى.

إن هذه الرابطة القلبية بذات الرسول صلی الله علیه وسلم كانت عنصراً هاماً لارتباط المسلم الهندي بالإسلام، وهي التي تجعله في مقدمة من يستعد للقاء، والتضحية في سبيله، وهي التي تجعله على أن ينظر إلى كل عربي وكل من يتكلم بالعربية باحترام وشفف، ويجد لذة في اللغة العربية إذا استطاع أن ينطق

بها، وإن تلجلج فيه وتعثر لسانه، لأنه لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ساعد على بقاء هذه العواطف ذلك النوع من الشعر الذي يوصف بالمدائح النبوية الشريفة، فقد عني بعض الشعراء أن تفيض أرواحهم بإلقاء نظرة على قبة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقنا أن يصلوا إليها على رؤوسهم، ولشعراء الهند في ذلك أعا杰يب، تدل على شدة شغفهم مع الاحتفظ بالفاصل الدقيق بين مقتضيات التوحيد، ومقتضيات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

## القسم الرابع

- مؤامرة غريبة لقطع صلة المسلمين
- بذات الرسول صلى الله عليه وسلم
- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيون بعض المنصفين من علماء الغرب وأدبائه

## مؤامرة غربية لقطع صلة المسلمين بذات الرسول صلى الله عليه وسلم

كانت أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين التي انتشرت فيها معارف وفلسفات أوروبا، وغزت العالم الإسلامي، عهد الافتتان بالحضارة الغربية، سحر في هذا العهد عدد كبير من الشباب المثقفين من المسلمين الذين ابتعثوا إلى الدول الأوروبية للتعليم أو زاروها للسياحة، فشاهدوا المدينة الغربية وأعجبوا ببريقها، ورونقها وحدث في نفوسهم رد فعل عنيف عندما قارنوا هذه المظاهر المدنية مع العالم الإسلامي بما فيه من تخلف وصراعات في ذلك العهد المتأخر من التاريخ الإسلامي، ولم تكن لديهم معرفة صحيحة بالتاريخ الإسلامي المجيد الذي كان تاريخ علوم وفنون، وأداب رفيعة، وبحث وتحقيق ومدنية راقية دامت قرонаً كأن أوروبا فيها تتสكم في الظلمات، فوجهوا الدعوة إلى محاكاة ما يجري في الغرب لصلاح هذه الأوضاع الفاسدة في العالم الإسلامي، وتطبيق تجربة الغرب في بلدانهم، فكان منهم دعاة مقلدون سحرروا بالجمال الظاهر ولم يتطرقوا إلى مبادئ هذه المدينة المادية الجاحضة الثائرة على الدين والأخلاق .

وقد كان السبب الرئيسي لافتنانهم بالحضارة الغربية عدم

تمكنهم من التزود بالثقافة الإسلامية الأصيلة، وخلو أذهانهم من العقائد الراسخة وعدم تشبثهم بالشريعة الإسلامية في عهد نشأتهم الفكرية، وإذا كانت القلوب خالية من عواطف الحب والولاء ، والأذهان غير معมورة بالأفكار الثابتة ، والمعتقدات الراسخة ، والآنفوس مجردة عن الغيرة والإباء ، والحمية والشعور بالذاتية ، والاعتزاز بما تنتهي إليه من تاريخ وثقافة ، ومجتمع ، ولا تقدر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر ، وتعجز عن إدراك عواقب الأعمال ، ولا تسترشد بمرشد ، ولا رائد ، فهي معرضة لكل غزو ، وتوجد فيها صلاحية لقبول كل ما يواجهها ، ويعتبر في سبيلها وتتبع كل قائد .

وقد اكتشفت أوروبا هذا المدخل في نفوس الشباب المسلمين ، فركزت على قطع الصلة بالتاريخ القديم ، وبث الشكوك والشبهات في الآنفوس وإضعاف الارتباط بذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنها أدركت أن هذا الولاء والوفاء وعواطف الحب والتقديس والفاء له كان المنطلق للمسلمين ، والدافع إلى العزائم والعظائم في جميع العصور ، وقد اعتقدت بعض الآنفوس أن الاتصال بالغرب ، والتعرف على أفكاره ومناهجه هو مصدر الثورة على الفكرة الإسلامية ، والشك والشبهات في سدادها للقيادة الإنسانية ، وصلاحيتها للإرشاد والتقويم الخلقي ، فإن الواقع هو أن الخواء الذهني من العقيدة الثابتة ، والولاء والحب لذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمعرفة الصحيحة للتاريخ الإسلامي ، والاعتزاز به كان المصدر

الرئيسي لهذا الشroud الذي أصيب به الشباب المسلمون الذين فوجئوا بالحضارة الغربية، ولإدراك هذه الحقيقة يسعى أعداء الإسلام إلى إضعاف الثقة بالإسلام والتشكيك فيه ويحاربون مراکز التربية الإسلامية .

كان من بين الذين زاروا الدول الغربية ونهلوا من مناهلها العلمية الدكتور محمد إقبال الذي يعتبر حكيم الإسلام في العصر الحاضر، إنه لم يعرف الحضارة الأوربية عن كثب فحسب، بل خاض هذه اللغة، وغاص فيها وعرف ما فيها من درر وصدق وخزف، وما فيها من بريق كاذب، ونور ساطع، ودرس أفكار بناء الفكر الأوروبي المعاصر درساً عميقاً، فأخذ ما صلح وطاب في نظره، ورفض ما لم يعجبه ولم يطابق فكرته الأصلية، فلم يكن مقلداً أعمى ولا رافضاً مطلقاً للأفكار الغربية وكان نقده لبعض الأفكار الغربية المصدر الأساسي لنقد هذه الأفكار بأقلام الكتاب الإسلاميين، لأن الدكتور محمد إقبال لم ينتقد ما انتقاده بمطالعة مجردة أو بذوقه الشرقي أو بميل فكره الإسلامي المغض، بل إنه عاش مدة من الزمن في هذه البيئة التي تجمع بين الصلاح والفساد، وعرف اتجاه نوازعها، وعواقب ما اتطور فيها من اتجاهات ونزاعات، وعرف كذلك طبيعة الغربيين، ورواسب تاريخهم وفلسفاتهم القديمة .

وأدرك بفراسته ودراساته وتعمقه في بواعث وكوامن هذه الحضارة، أن هذه الحضارة محتضرة تعاني سكريات الموت وإن لم تمت حتف أنفها فستتحرر وتقتل نفسها بمنجرها، وقال إن أساس

هذه الحضارة ضعيف منهاج وجدرانها من زجاج لا تحتمل صدمة . قام الدكتور إقبال بتحليل عناصر الحضارة الغربية فقال : " إنها بمحض الظلمات ليست فيه عين الحياة ، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكائنات في جمال البناء ، وحسن المظهر ، والثقافة ، إن تجاراتها قمار يربح فيه واحد ويخسر ملايين ، وإن هذا العلم والحكمة والسياسة والحكومة التي تتبع فيها أوروبا مظاهر جوفاء ليست ورائها حقيقة ، إن قادتها يتصنون دماء الشعوب وهم يلقتون درس المساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية .

أعدت أوروبا بدهائهما ومكرها مؤامرة خطيرة ، وهي أن تسحر الأمم الشرقية بمظاهرها المدنية ، وعلومها وأفكارها التجددية ، بإزالة ثقة هذه الشعوب في تراثها وحضارتها ومقدساتها ، وقد استهدفت بصفة خاصة الأمة الإسلامية التي قامت بيت الشكوك والشبهات في أذهان شبابها حول صلاحية أفكارها ومعتقداتها في حل مشاكل حياتها ، وركزت على صلتها بذات الرسول صلى الله عليه وسلم وساعد في إنجاز هذه المؤامرة المستشرقون الذين أنشأوا مكتبة ضخمة في السيرة والتاريخ الإسلامي بفرض إزاحة ثقة المسلمين في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الدكتور محمد إقبال الذي نشأ في هذه البيئة الحاقدة للإسلام ونبي الإسلام ازداد يقيناً وثقة ، وحباً وإعجاباً بذات الرسول صلى الله عليه وسلم وصار حبه لمحمد صلى الله عليه وسلم رغم دراسته لحياة وسير علماء الغرب ، وأمجاد أوروبا ، وبناء الحضارة المعاصرة الذين سحرروا أمثاله من المثقفين بالثقافة الغربية من الغرب وغيرهم ،

سمته الشخصية التي يتميز بها عن غيره من المفكرين ، وبلغ حبه له درجة الوله ، والفاء ، وقد ذكر مترجمو حياته في ذلك عجائب ، ومنها أنه كان في قصر أحد الأمراء فزاره الأمير لبعض أمور طارئة في الليل فرأه قد افترش الأرض فسألة لماذا ترك السرير والفراش الخاص المعده ، فقال لقد تذكرت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينام على الأرض ، فلم تطب نفسي أن أنام على سرير مرتفع وفراش ناعم .

ولعل هذا الحب الغامر لذات الرسول صلى الله عليه وسلم قد حفظه ورعاه ، ومنعه من أن يفتتن بالحضارة الغربية الجامحة أو يسحر بقاده الفكر في أوروبا ، بل وصف بعضهم بأنهم تائرون ويتخبطون .

وقد قال محمد إقبال وهو يعلل صموده في وجه الحضارة الغربية الغازية التي فتنت خيرة شباب الأمة الإسلامية :-

"لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يهرب لبى ويغشى بصري ، وذلك لأنني اكتحلت بأثمد المدينة" ويقول : "مكثت في أتون التعليم الغربي ، وخرجت كما خرج إبراهيم من نار نمرود" وقال : "لم يزل ولا يزال فراعنة العصر يرصدونني ويكمون لي ، ولكنني لا أخافهم فإني أحمل اليد البيضاء أن الرجل إذا رزق الحب الصادق ، عرف نفسه واحتفظ بكرامته واستغنى عن الملوك والسلطانين ، ولا تعجبوا إذا اقتنست النجوم وانقادت لي الصعب ، فإني من عبيد ذلك السيد العظيم الذي تشرف بوطأته الحصباء ، فصارت أعلى قدرًا من النجوم ، وجرى في أثره الغبار

فصار أعقب من العبير".

وذكر الشاعر مقومات الأمة الإسلامية والدعائم التي تقوم عليها ، فذكر منها اتصالها الدائم بيئتها والتسبّب بتعاليمه والتfanي في حبه.

وكان هذا الشاعر الفيلسوف الذي تثقف بالثقافة الغربية ، مغموراً بحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا ورد اسم النبي صلى الله عليه وسلم اهتز ، لأن رعدة أصابته ، وكان إذا ذكره اندفع إلى مدحه ، وأرسل النفس على سجيتها .

قال في أحد مدائحه : " إن قلب المسلم غامر بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو أصل شرقنا ، ومصدر فخرنا ، في هذا العالم ، إن هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرى كان يرقد على الحصیر ، إن هذا السيد الذي قام عبيده على أسرة الملوك كان بيست لا يكتحل بنوم ".

وقال في آخر أيامه يخاطب الله سبحانه وتعالى : أنت غني عن العالمين ، وأنا عبدك الفقير فاقبل معدرتني يوم الحشر ، وإن كان لابد من حسابي ، فأرجوك يا رب أن تخاسبني بنجوة من المصطفى صلى الله عليه وسلم فإني أستحيي أن أنتسب إليه وأكون في أمته وأقترف هذه الذنوب والمعاصي .

نفح حب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدكتور محمد إقبال روح الصمود والمناعة ، والخذر من كل ما يقلل هذا الحب الغامر أو ما يتنافى معه ، كما نفح فيه روح الاتماء العميق إلى أمته ، والوفاء بشرعه ، والاشتغال بتلاوة القرآن الكريم الذي

نزل عليه، وأكسبه هذا الحب هم الأمة الإسلامية عامة، والأمة العربية خاصة، فهو يخاطب العرب ويثير فيهم الغيرة الإمامية، وينخاطب الأمة الإسلامية، ويحثها على العودة إلى اتباع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومكافحة كل ما يحول دون اتباعه، ويسعى إلى إعادة ثقتها بصلاحية الإسلام للقيادة والسيادة .

تحمل حياة الدكتور محمد إقبال درساً للمثقفين الذين ينشأون في المدارس الغربية، ويطالعون الأفكار الغربية، فإذا كان القلب معموراً بمحب الرسول صلى الله عليه وسلم والثقة بصدقه وأمانته والإيمان بختام نبوته، وخلود رسالته، وصلاحيتها لإنقاذ البشرية كلها، فإن هذا القلب سيظل بنجوة من كل تلويث فكري، أو تبعية لأي مذهب أو عقيدة تتنافى مع العقيدة الإسلامية، وقد حدث في نظام التعليم والتربية في الأقطار الإسلامية الإهمال في هذا الجانب وضعفت صلة الشباب المثقفين بذات الرسول صلى الله عليه وسلم فأصبحوا رمية كل رام وهدف كل مستهدف، ووُجدت فيهم صلاحية الوجود في كل مصيبة .

## محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيون بعض المنصفين من علماء الغرب وأدبائه

إن أي مطلع على التراث الإنساني الفكري والأدبي والفلسفى ونحوه يقع بصره على كثير من آراء ومقولات عدد هائل من المنصفين، من قالوا كلمات مشرقة منصفة في إمام الأبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه، ولا شك أن المسلمين الصادق المحب لنبيه لا يسعه إلا أن يقدر ويختفي بهؤلاء الناس الذين صدرت عنهم تلك الكلمات والشهادات أولًا لأن الإسلام نفسه أمرنا برد الحسنى وعدم إنكار المسالك الراسدة لأهل الفضل من الخلائق وثانياً أن هؤلاء الناس ترفعوا عن التعصب المقيت التي يتمثله أو يدعوه له لفيف من الحاقدين في الغرب النصراني فجاءت كلماتهم تلك معبرة عن احترامهم المجرد لضمائرهم ولحقائق التاريخ.

ومن أبرز هؤلاء الأدباء العالميين الكبار من وقفوا مشدوهين أمام شخصية صاحب الرسالة معجبين مقدرين، برنار دشو مؤلف كتاب "المسيح ليس مسيحياً" فقد أثر عنه شدة إعجابه بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي كان يرتعن ثوبه، ويقصص نعله ويمخلب شاته، ويشارك أزواجه شؤون

البيت، ويفضل أن يقوم بنفسه على أعماله، ورعاية ما في ذمته من تكاليف وواجبات وبرامج، ومن هذا المنطلق نجد برناردشو يقول: لو حكم هذا العالم رجل كمحمد لقدم له الحلول لمشكلاته بل لفتها كل مستغلق من شئونه وفي وقت وجيز.

أما رمز الأدب الألماني الشاعر الكبير غوته فبلغ به العجب أقصاه وهو يقرأ القرآن الكريم الكتاب الخالد الذي يمثل الخلاصة الأخيرة للوحى الإلهي وختام النبوات الربانية، وكان هذا الأديب يتحدث عن بعض شمائل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وما لفت نظره بقوه في هذه الشمائل، كيف كان يسير في الأسواق وكيف كان يغشى المجالس مذكراً برسالة ربه ، وكيف كان يعيش بين الناس كواحد منهم بلا أبهة ولا صوجان ، وهو أمر مغائر تماماً لمسالك ملوك أوروبا ، وكيف نجح هذا النبي الإنسان صلى الله عليه وسلم في تغيير الحياة البدوية البسيطة في جزيرة العرب وتوحيد القبائل التي كثيراً ما نشب القتال بينها من أجل سباق للخيل أو أبيات من الشعر تضمنت هجاءً أو وعیداً ، ومن شعر غوته المأثور في تمجيد هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قوله: بخطوة قائد ثابت وتحت وطأة قدمه تنبت في الوادي زهور ، وتحيا من أنفاسه زهور ، ولكن لا يصدده واد ظليل " ، وقد ألف غوته أيضاً ملحمة شعرية في سيرة ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم عرض فيها الكثير من مراحل حياته وجهاده في سبيل توطيد أركان الرسالة التي كلف صلى الله عليه وسلم لتبلیغها . ومن بين الأدباء العالميين الذين عبروا عن تأثیرهم بشخص

ورسالة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم أديب روسيا الكبير لوين تو لستوي وقد ألف كتابه "حكم النبي محمد" ترجمة لهذا التأثير الذي استولى على نفسه، وما قاله تولستوي ودونه بقلمه: "لا ريب أن النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمةً جليلة، يكفيه فخرًا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنب للسلام، وتکف عن سفك الدماء، ففتح لها طريق الرقي والتقدم، وهذا أمر عجيب لا يقوم به إلا رجلاً أوتي إرادة وحكمة وعلماً، إن رجلاً مثله جدير بالاحترام والإجلال"<sup>١</sup>

### عقبريّة محمد لا تقارن

يقول المفكر الفرنسي لامartin (LAMARTINE)

"إذا كانت الضوابط التي تقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيًّا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ي عبقريته، فهو لاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة، وسنوا القوانين، وأقاموا الإمبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمـت بين ظهرانيـهم، لكن هذا الرجل لم يقد الجيوش، ويسـن التشريعـات، ويـقم الإمبراطوريات، ويـحكم الشعوب، ويرـوض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثـلث العالم حينـئذ، لقد صـبر النبي صلى الله عليه وسلم وتحـلـدـ حتى نـالـ النـصـرـ منـ اللهـ، كانـ طـمـوحـ النـبـيـ صلىـ اللهـ عـلـيهـ

(١) مجلة "الحج والعمرة" ذو الحجة ١٤٢٦ـهـ.

وسلم موجهاً بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية، أو ما إلى ذلك حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته صلى الله عليه وسلم وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك، لا يدل على الغش والخداع، بل يدل على اليقين الأدق الذي أعطى النبي الطاقة والقدرة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث، فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية) بينما الآخر يوضح ما لا يتصرف به الله تعالى (وهو المادية والمماطلة للحوادث) لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلب ترسیخ العقيدة بالكلمة "بالحكمة والموعظة الحسنة"، هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب، ولا أزلام، هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة، هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أسألك هل هناك من هو أعظم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟

**غافدي:**

"أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون منازع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتئاع، أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود،

وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته، هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف، بعد انتهاءي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

**ساروجني نالدو شاعرة الهند:**

"يعتبر الإسلام أول الأديان مناديةً ومطابقاً للديمقراطية، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادي للصلوة، ويُسجد القروي والملك جنباً لجنب اعترافاً بأن الله أكبر.. ما أدهشتني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخي للأخر"

**مونتجومري:**

"إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والتزاهة المتأصلة في شخصه، فافتراض أن محمدًا مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها، بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تnel التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد".

**ديورانت: محمد أعظم عظماء التاريخ**

يبدو أن أحداً لم يعن بتعليم - محمد صلى الله عليه وسلم - القراءة والكتابة، ولم يعرف عنه أنه كتب شيئاً بنفسه، ولكن هذا

لم يخل بيته وبين قدرته على تعرف شؤون الناس تعرفاً قلما يصل  
إليه أرقى الناس تعليماً.

كان النبي صلی الله عليه وسلم من مهرة القواد.. ولكنه كان إلى هذا سياسياً محنكاً، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم. إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن حمداً صلی الله عليه وسلم كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألتقت به في ديار غير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الفرض نجاحاً لم يدانيه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنساناً غيره حقق ما كان يحلم به.. ولم يكن ذلك لأنّه هو نفسه كان شديداً التمسك بالدين وكفى، بل لأنّه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه .. وكانت بلاد العربي لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبادة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمّة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم، ديناً سهلاً واضحاً قوياً، وصراحاً خلقياً وقوامه البساطة والعزة القومية، واستطاع في جيل واحد أن يتتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يقي إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم.

لسنا نجد في التاريخ كله مصلحاً فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد صلی الله عليه وسلم لإعانته

الفقراء.

تدل الأحاديث النبوية على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية مختلف عن معظم المصلحين الدينيين<sup>١</sup>.

**توماس كارلائيل: محمد الرحمة والعنان**

"هلرأيتم قط ،أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجباً.. إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص ، والتراب وما شاكل ذلك ، فما ذلك الذي يبنيه بيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاق الماء ، وليس جديراً أن يبقى على دعائمهاثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينعدم فكانه لم يكن ، وإنني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبى أن تحيط طلباته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقاً.. ومحنة أن يخدع الناس شعوباً وأئمأً بهذه الأضاليل.

إن محدداً صلى الله عليه وسلم لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً، وكانت صناعة الخط حداثة العهد آنذاك في بلاد العرب، ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محدداً صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف الخط القراءة، وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء، وأحوالها وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه ويتلقي بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية.. إنه لم يعرف من

(١) العالم الكبير ويل ديوانت صاحب الكتاب المشهور عن تاريخ العمارنة في أحد عشر جزءاً.

العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه في ظلمات صحراء العرب، ولم يضره .. إنه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ، ولم يقتبس محمد صلى الله عليه وسلم من نور أي إنسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء - أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهدادية في ظلمات الدهور - من كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبينه أدنى صلة وإنما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء..بين الطبيعة وبين أفكاره ..

لوحظ على محمد صلى الله عليه وسلم منذ صباه أنه كان شاباً مفكراً وقد سماه رفقاؤه الأمين - رجل الصدق والوفاء - الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره ، وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة ، وإنني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام ، فإذا نطق فما شئت من لب . وقد رأينا طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد البهم كريماً برأ رؤوفاً فاضلاً حراً ، رجلاً شديد الجد مخلصاً وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة ، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الإيناس ، بل ربما مازخ وداعب ، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق .. وكان ذكي اللب ، شهم الفؤاد .. عظيماً بفطرته ، لم تتفقه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك .. فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء.

وما يبطل دعوى القائلين أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن صادقاً في رسالته.. أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباحه في تلك العيشة الهدائة المطمئنة . مع خديجة رضي الله عنها . لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي ، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة ، ولم يكن إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعاً وثار يريد أمراً جليلاً وشأنأً عظيماً.

لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير . صلى الله عليه وسلم ابن القفار العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيراً وحناناً ويرا وحكمة وحجى ونهى ، وأفكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه ، وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين بالاصطلاحات الكاذبة ، ويسيرون طبق اعتبارات باطلة ، إذ ترى محمداً صلى الله عليه وسلم لم يرض أن يتلتفع بالأكاذيب والأباطيل ، لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه بأهوائه ومخاوفه ومباهره ، ولم يكن هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه ، فكأنه لسان حال ذلك السر يناجيه : ها أنتا ، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس ، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فإذا تكلم بكل الأذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية ، وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل قول جفاء.....  
إني لأحب محمداً صلى الله عليه وسلم لبراءة طبعه من

الرأي والتصنع ، ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه ولم يكن متكبراً ولكنه لم يكن ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما أراده ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة ، وكان يعرف لنفسه قدرها .. وكان رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد.....<sup>١</sup>

### رسول: محمد أعظم رجال التاريخ قاطبة

"القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي صلى الله عليه وسلم إرشاداته ، وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي صلى الله عليه وسلم العنصر الأساسي من سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة ، هذه الأقوال ، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السنة دونت مما روی عن الصحابة . رضي الله عنهم . أو نقل عنهم مع التمحيق الشديد في اختيارها وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث .. والسنة هي الميبة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن ...

.. كان لزاماً على محمد صلى الله عليه وسلم أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه ، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية ، وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية ، فإنه

(١) توماس كارلايل ١٧٩٥-١٨٨١(الكاتب الإنجليزي المعروف من كتابه "الأبطال" ١٩٤٠)  
وقد عقد فيه فصلاً رائعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

يجب أن نعترف أن محمداً صلى الله عليه وسلم يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان<sup>١</sup>.

### **ولز: محمد أعظم من أقام دولة العدل والتسامح**

”هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجايا  
مستطيع أن يتخذك صديقاً؟ ذلك أن من عرفووا محمداً صلى الله  
عليه وسلم أكثر من غيرهم، كانوا أشد الناس إيماناً به، وقد  
آمنت به خديجة - رضي الله عنها - كل حياته على أنها ربما كانت  
زوجة محبة، فأبوبكر - رضي الله عنه - شاهد أفضل وهو لم يتردد  
قط في إخلاصه، كان يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك  
على - رضي الله عنه - فإنه خاطر بحياته من أجل النبي صلى الله  
عليه وسلم في أحلك أيامه سواداً.....”

حج محمد صلى الله عليه وسلم حجة الوداع من المدينة إلى  
مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذاك ألقى على شعبه موعظة  
عظيمة.. إن أول فقرة فيها تجربة أمامها كل ما بين المسلمين من  
نهب وسلب ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها  
الزنجي المؤمن عدلاً لل الخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة  
للتreatment العادل الكريم، وإنها لتنفس في الناس روح الكرم  
والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت  
جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم  
اجتماعي، بما في أي جماعة أخرى سبقتها.

(١) البروفيسور جاك رسيل الأستاذ في معهد بي للدراسات الإسلامية، والحاصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية، تقديراً لكتابه الحضارة العربية بوصفه دراسة أساسية لمعرفة الإسلام

لقد منع العرب ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم، أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمد صلى الله عليه وسلم<sup>١</sup>  
هنري دي فاستري؛ كيف كان يفكر هذا الرجل؟!

إن أشد ما تطلع إليه بالنظر على الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي صلى الله عليه وسلم: ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية علني أجده في هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه وأمانته المتفق تقريراً عليها بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر التشيعيين للدين المسيحي.

ثبت إذن أن مهداً صلى الله عليه وسلم لم يقرأ كتاباً مقدساً ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه.....  
ولقد نعلم أن مهداً صلى الله عليه وسلم من بمتاعب كثيرة وقادى آلاماً نفسية كبرى قبل أن يخابر رسالته، لقد خلقه الله ذات نفس تحضست للدين ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأواثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون، وكان بغضهما متمكناً من قلبه، وكان وجود هذين المذهبين أشبه بآية في جسمه صلى الله عليه وسلم ، ولعمري فيما كان يفكّر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء،

(١) هربرت جورج ولز(١٨٦٦-١٩٤٦م) الكاتب والأديب البريطاني المعروف، حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٨٨٨م، تولى التدريس بعض سنين ثم انصرف للتأليف، اشتهر بقصصه الذي يعتمد الخيال العلمي من مثل لا آلة الزمن" و"الرجل الخفي" فضلاً عن روایاته النفسية والاجتماعية مثل "مكيافيلي الجديد" و"الزواج" ولم يغفل ولز البحث في التاريخ، فاتجز عام ١٩٢٠م معالم تاريخ الإنسانية الذي نقلنا منه.

ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيل وقوة الإدراك.. إلا أن يقول مراراً ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله أحد.. الله أحد) كلمات ردّها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا عشر المسيحيين مغزاها لبعضنا عن فكرة التوحيد..

لورجينا إلى ما وضحه الحكماء عن النبوة ولم يقبل المتكلمون من المسيحيين لأمكناً الوقوف على حالة مشيد دعائم الإسلام وجزمنا بأنه لم يكن من المبتدعين.. ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل (عليه السلام).. إلا أن معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسألة، لأن الصدق حاصل في كل حال.

لا يمكن أن ننكر على محمد صلى الله عليه وسلم في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه، فأما الإيمان فلن يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني (الدور المدني) وما أوتيه من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لو لا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه.. وما كان يميل إلى الزخارف ولم يكن شحيحاً.. وكان قنوعاً خرج من (الدنيا) ولم يشع من خbiz الشعير مرة في حياته.. تجرد من الطمع وتكتن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب، ولكنه لم ينجح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية، ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً، وقد احتقر المال.."

#### **اختيار الآخرة الباقية على الدنيا الفانية**

يقول المستشرق الأمريكي "واشنطن أيرفنج" : "كان الرسول ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في

(١) هنري دي فاستري في كتابه : "الإسلام خواطر وسوانح" .

سبيل انتصار الإسلام، وفي معاونة فقراء المسلمين، وكثيراً ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت المال . وهو لم يختلف وراءه ديناراً أو درهماً رقيقاً .. وقد خيره الله تعالى بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة<sup>١</sup> .

#### أعظم رجال التاريخ:

ويقول مايكل هارت في كتابه "مائة رجل من التاريخ": "إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي" .

#### أعظم مؤثر على الجنس البشري:

يقول جون ولIAM درير في كتابه "تاريخ التطور الفكري الأوروبي": "ولد في مكة بجزيرة العرب عام ٥٦٩ م بعد المسيح، بعد أربع سنوات من موت جوستينيان الأول، الرجل الذي كان له من دون جميع الرجال، أعظم تأثير على الجنس البشري.. وهو محمد".

#### صفات القائد العظيم:

ويقول المستشرق البريطاني سير توماس آرنولد: "إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود العشائر المختلفة من النبي صلى الله عليه وسلم واهتمامه بالنظر في شكاياتهم ، والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم ، والسياسة التي أوجت إليه بتخصيص قطع من الأرض مكافأة للكل من بادر إلى الوقوف في جانب الإسلام وإظهار العطف على المسلمين، كل ذلك جعل اسمه مألفاً لديهم كما

جعل صيته ذائعاً في كافة أنحاء شبه الجزيرة سيداً عظيماً ورجلأً كريماً، وكثيراً ما كان يفدي أحد أفراد القبيلة على النبي بالمدينة، ثم يعود إلى قومه داعياً إلى الإسلام جاداً في تحويل إخوانه إليه<sup>١</sup>.

#### **سعادة الأوليين بشرعية محمد:**

يقول الدكتور النمساوي شبك : "إن البشرية لا تفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ أنه رغم أميته، استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع، سنكون نحن الأوليين أسعد ما تكون، إذا توصلنا إلى قمته".

#### **العدالة والرحمة:**

يقول المستشرق الألماني بريكانى سانت هيلير في كتابه "الشرقيون وعقائدهم" : "كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجتازون الجنایات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيمًا حتى مع أعدائه، وأن في شخصيته صفتين، هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة".

#### **الأثر العظيم :**

يقول المستشرق الفرنسي إميل درمنغم : "إذا كان كل نفس بشرية تنطوي على عبرة، وإذا كان كل موجود يشتمل على عظمة فما أعظم ما تشيره فيما من الأثر الخاص العميق المحرك

(١) الدعوة إلى الإسلام ص: ٥٥

الخصيب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بنى الإنسان".<sup>١</sup>  
منقذ البشرية:

ويقول برنارد شو الإنجليزي صاحب مؤلف "محمد" الذي أحرقته الشرطة البريطانية: "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاهتمام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإنني أرى كثيراً من بين قومي قد دخلوا هذا الدين على بيته، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا) إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب قد رسموا للدين محمد صورة قائمة لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أujeوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوقف في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرثونا البشر إليها".<sup>٢</sup>  
وليس من شك في كون قائمة أصحاب الشهادات والاعترافات طويلة فمنهم مثلاً فولتير وزيريد هونكه، ورينه جينو، وأن ماري ديل كامير، وسرجينوغا، وأخرون.

(١) حياة محمد ص: ٨

(٢) لمزيد من التفاصيل عن المستشرقين المنصفين يرجع إلى كتاب "قالوا عن الإسلام" للدكتور عماد الدين خليل : والرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة لحمد الشيباني، وموقع إسلام أون لاين صفحة الرسول في عيونهم لمحمود إسماعيل.

## القسم الخامس

- يوميات السيرة النبوية
- جدول أعيان العرب
- جدول دعاء الصحابة
- جدول أشبال الصحابة
- كتب للدراسة حول السيرة النبوية

## يوميات السيرة النبوية<sup>١</sup>

- ٥٤ / ق. هـ : وفاة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٥٣ / ق. هـ : هلاك أصحاب الفيل .
- ٥٢ / ق. هـ : ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بعد خمسين يوماً من حادث الفيل . توافق يوم الإثنين ١٢ / ربيع الأول / ٥٣ / ق. هـ الواقع في ٢٠ / نيسان / مـ ٥٧٠ .
- ٥١ / ق. هـ : رضاع النبي صلى الله عليه وسلم في بني سعد بن بكر عند حليمة السعدية
- ٤٨ / ق. هـ : وفاة أمينة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، عمره صلى الله عليه وسلم ٥ سنوات.
- ٤٥ / ق. هـ : وفاة عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمره ٨ سنوات.
- ٤٥ / ق. هـ : النبي صلى الله عليه وسلم ، في كفالة عمه أبي طالب ، وعمره صلى الله عليه وسلم ٨ سنوات.
- ٤٥ / ق. هـ : زواج النبي صلى الله عليه وسلم ، من خديجة بنت خويلد ، وعمره صلى الله عليه وسلم ٢٥ سنة.

(١) مقتبس من كتاب "سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، صفة السير" / إعداد: محمد الحبيش ، الطبعة السادسة ، دار النور دمشق ، ١٩٩٦ مـ.

٢٣ / ق. هـ : ولادة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ،  
و عمره صلى الله عليه وسلم ٣٠ سنة .

١٨ / ق. هـ : قريش تقوم ببناء الكعبة و عمره صلى الله عليه  
و سلم ٣٥ سنة .

١٨ / ق. هـ : ولادة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ،  
و عمره صلى الله عليه وسلم ٣٥ سنة .

١٤ / ق. هـ : ولادة أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم ،  
و عمره صلى الله عليه وسلم ٣٩ سنة

١٣ / ق. هـ : ولادة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم صلى  
الله عليه وسلم ، و عمره صلى الله عليه وسلم ٤٠ سنة .

١٢ / ق. هـ الموافق ١/بعد البعثة .

بدء الرؤيا الصادقة ، وذلك في ربيع الأول عام ٤٠ بعد  
الفيل الموافق ٦٠٩ ميلادية ..

بدء نزول القرآن الكريم وذلك في ٢٧ / رمضان عام ٤٠  
بعد الفيل الموافق ١٧ / آب ٦٠٩ ميلادية .

إسلام خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .  
وفاة ورقة بن نوفل .

١١ / ق. هـ الموافق ٢/البعثة .

إسلام أبي بكر الصديق  
إسلام على بن أبي طالب .  
إسلام زيد بن حارثة .  
بدء الدعوة سراً .

إسلام عثمان بن عفان .

إسلام الزبير بن العوام.

إسلام عبد الرحمن بن عوف .

إسلام سعد بن أبي وقاص .

إسلام طلحة بن عبيد الله .

إسلام أبي عبيدة بن الجراح .

إسلام أبي سلمة بن عبد الأسد .

إسلام الأرقم بن أبي الأرقم .

إسلام عثمان بن مظعون .

تسامع قريش بأخبار الإسلام.

#### .١٠. المواقف /٣. بعد البعثة.

استمرار الدعوة سراً.

دعوة العشيرة الأقربين.

أبو لهب يتخد موقفاً معادياً للإسلام .

دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مدرسة في الإسلام.

قريش تعلن غضبها على النبي صلى الله عليه وسلم.

اجتماع المسلمين على صلاة الغداة والعشي.

أول دم يراق في الإسلام

#### .٩. المواقف /٤. بعد البعثة

إعلان الدعوة في قريش .

بدء الإيذاء والاضطهاد .

إعلان أبي طالب عن حمايته للنبي صلى الله عليه وسلم.

وفاة ياسر وسمية أول شهيدتين في الإسلام .

وفاة ثوبية الصابرة .

محاولات قريش مفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم ليترك الدعوة

٨/هـ المافق / بعد البعثة

اشتداد أذى قريش .

الهجرة الأولى إلى الحبشة .

محاولات قريش لرد المهاجرين والقبض عليهم

بدء الدعوة في الحبشة

٦/هـ المافق / بعد البعثة .

إسلام حمزة بن عبد المطلب .

إسلام عمر بن الخطاب .

الجهر بالدعوة والاستعلان بالقرآن الكريم .

عوده بعض المهاجرين من الحبشة .

٦/هـ المافق / بعد البعثة .

الهجرة الثانية إلى الحبشة .

محاولات قريش شراء الدعوة الإسلامية .

قريش تصاب بالخيرة في اتخاذ موقف واحد من الإسلام .

٥/هـ المافق / بعد البعثة .

دخول المسلمين شعب أبي طالب .

إحکام الخصار الإعلامي والاقتصادي على المسلمين .

٤/هـ المافق / بعد البعثة .

استمرار الخصار الظالم .

حكماء قريش يتعاطفون مع المسلمين .  
تعاطف عام في جزيرة العرب مع المسلمين عقب انتشار خبر  
الصحيحة .

دخول جماعة من نصارى نجران في الإسلام .  
٣/٢٠. الموافق ١٤٥هـ . بعدبعثة .

نقض الصحيفة الظالمة .  
وفاة خديجة بنت الخويلد .  
وفاة أبي طالب .

إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم في جسده بعد موت أبي طالب .  
هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .  
إيمان نفر من الجن .  
إيمان عداس النينوى .

دخول النبي صلى الله عليه وسلم في جوار المطعم بن عدي .  
دخول جماعة من أهل المدينة في الإسلام في موسم الحج .  
إسلام جماعة من بنى شيبان في موسم الحج أيضاً .

٢/١١. الموافق ١٤٦هـ . بعدبعثة

استمرار الدعوة في جوار المطعم .  
الإسراء والمعراج .  
تشريع الصلوات الخمس .  
أول ردة في الإسلام عقب خبر الإسراء والمعراج .  
بيعة العقبة الأولى .  
إرسال مصعب بن عمر إلى المدينة .

## ١/ـ. الموافق ١٢ / بعد البعثة

بدء دعوة مصعب في المدينة .

أول جمعة تقام في الإسلام في المدينة المنورة .

إسلام سعد بن معاذ وأسید بن حضير .

بيعة العقبية الثانية .

بدء الهجرة إلى المدينة .

## ١/ـ. الموافق ١٢ / بعد البعثة توافق ٦٢٢ ميلادية .

أصحاب النبي يهاجرون إلى المدينة .

مكة تخلي من الصحابة ، ولم يبق فيها إلا النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وبعض الضعفاء .

من ١ - ٧ ربيع أول هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووصوله إلى قباء .

بناء مسجد قباء .

١٢ ربيع الأول ، وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وإقامته في دار أبي أيوب الأنباري .

بناء مسجد المدينة .

عقد المؤا خاة العظيم .

إعلان دستور المدينة .

موادعة اليهود .

محالفة القبائل .

الإذن برد العدوان .

خروج بعض السرايا للاقاء غير قريش .

## ٢/٤. المواقف / بعد البعثة

تحويل القبلة .

سرايا إلى القبائل المجاورة بقصد عرض الإسلام .

غزوات وسرايا بقصد استرداد أموال المهاجرين .

١٧ / رمضان موقعة بدر الكبرى .

أمر الأسارى ومفاوضات ثقافية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

## ٣/٥. المواقف / بعد البعثة

ظهور النفاق في المدينة .

قتل كعب بن الأشرف اليهودي غراب الحرب الماكر .

وقعة أحد في شوال .

مقتل حمزة ومصعب وبسبعين من الصحابة في أحد .

غزوة حمراء الأسد في آخر شوال .

## ٤/٦. المواقف / بعد البعثة

إعادة ترتيب الجماعة المسلمة بعد أحد .

مائدة يوم الرجيع .

كارثة بشر معونة .

إجلاء جرثومة الغدر من المدينة (بني النضير)

تحريم الخمر تحريمًا قاطعاً .

غزوة ذات الرقاع .

استئناف إرسال سرايا الدعاء .

## ٥. هـ. الموافق ١٧/ بعد البعثة

اشتداد النفاق وتفاقمه.

دخولبني المصطلق في الإسلام عقب زواج النبي صلی الله عليه وسلم بمحورية بنت الحارث.

نزول سورة المنافقين في فضح مكائد النفاق، بعد محاولة فاشلة منهم للإيقاع بين المهاجرين والأنصار.  
Hadith al-Ifk ونزول سورة النور.

غزوة الأحزاب.

غزوة بنى قريظة.

وفاة سعد بن معاذ.

## ٦. هـ. الموافق ١٨/ بعد البعثة

اشتئاف إرسال سرايا الدعاة.

تطهير أطراف المدينة من بقايا اليهود.

مقتل أبي رافع اليهودي.

التفكير في موادعة قريش ومعاهدتها.

الخروج للحديبية وبيعة الرضوان.

صلح الحديبية وفيه: .

١. اعتراف قريش بالدولة الإسلامية.

٢. وضع الحرب عشر سنين.

٣. قطع الأحلاف بين قريش واليهود.

فتح خير.. آخر معاقل الغدر في جزيرة العرب.

نزول سورة الفتح .

عودة مهاجري الحبشة .

#### ٧. هـ. الموافق ١٩/ بعدبعثة

زواج النبي بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وبدء تحول قريش إلى الإسلام .

إرسال الرسل إلى الملوك .

قدوم وفد الأشعريين ، وبدء دخول اليمن في الإسلام.

تعديل صلح الحديبية لمصلحة المسلمين بطلب من قريش بعد حركة أبي بصير .

إسلام المنذر بن ساوي والنجاشي .

عمره القضاء ، أول عرض حي للإسلام أمام عيون القرشيين .

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بميمونة بنت الحارث في حفل كبير ، صار نهاية للحقد القرشي .

#### ٨. هـ. الموافق ٢٠/ بعدبعثة

القبائل المهدية بسرايا الدعاة ترسل وفودها إلى المدينة .

إسلام خالد بن الوليد وعمرو العاص وعثمان بن طلحة .

تمرد الحارث الغساني ، وقتلته لرسول النبي صلى الله عليه وسلم

غزوة مؤتة : أول لقاء بين المسلمين والروم .

مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة .

نقض صلح الحديبية .

الفتح الأعظم "فتح مكة" يوم ٢٠ رمضان .

إسلام أبي سفيان .

إسلام معظم زعماء قريش .

الخروج لملاقاة هوازن وغطفان يوم حنين .

حصار الطائف إلى دخول شهر الحرام .

توزيع غنائم حنين .

عمرة الجعرانة .

إعلان مكة مدينة إسلامية ، وتعيين عتاب بن أسيد والياً عليها .

عوده النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

#### ٩/هـ الموافق ٢١ / بعد البعثة

إرسال السرايا لهم الأصنام في جزيرة العرب .

دخول قبائل العرب الكبرى في الإسلام .

استقبال وفود كافة القبائل العربية تقريرًا ، وتعيين الولاية والأمراء

على أقاليم الجزيرة العربية .

وفاة التجاشي .

إسلام ثيف آخر المدن الكبرى في جزيرة العرب .

خروج النبي صلى الله عليه وسلم لملاقاة جيش الروم في تبوك .

عقد الأحلاف مع عرب الروم والفرس ، وضمان الحدود

الشمالية للدولة الإسلامية .

نزول سورة التوبة ، وفضح مخازي المنافقين .

الخسار النفاق ، وموت رأس المنافقين عبد الله بن أبي .

حج أبي بكر بالناس .

#### ١٠/هـ الموافق ٢٢ / بعد البعثة

اكتمال دخول جزيرة العرب في الإسلام .

تشريع أحكام أهل الذمة، وقدوم نصارى نجران .  
ظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي .  
مراجعة جبريل للقرآن الكريم مرتين مع النبي صلى الله عليه وسلم .

حجّة الوداع وإعلان اكتمال الرسالة الإسلامية .

#### ١١/ بعد البعثة / الموافق ٢٢ هـ

إعداد جيش أسامة لغزو الروم .  
مرض النبي صلى الله عليه وسلم  
تكليف النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ليكون إماماً في  
الصلاحة بالناس .

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم ١٢ / ربيع الأول الموافق  
٦ / حزيران / ٦٣٢ ميلادية .

مباعدة أبي بكر الصديق بالخلافة .

## جدول أعيان العرب

يكشف هذا الجدول عن حقيقة دامغة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فهو يبين أن العرب لم تحول إلى الإسلام في طفرة عابثة ، بل كان تحولها إلى الإسلام منهجاً حركياً مدروساً بإشراف النبي صلى الله عليه وسلم .

فهو يعرض لنحو عشرين زعيمًا ، من أبرز رؤوس العرب ودهاقيتها ، أمكن تحويلهم إلى الإسلام عن طريق الدعاة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكانت هداية كل واحد منهم مدخلاً لتحول قومه جمِيعاً إلى الإسلام .

الصحابي	سنة إسلامه	موقعه في الجاهلية	أهم أعماله في الإسلام
حمسة بن عبد المطلب	٧ ق هـ	من أسابد مكة	مستشار النبي ﷺ ومن أعظم المجاهدين
أبو بكر الصديق	٨ ق هـ	من أسياد قريش وكانت إليه الدييات ونسابة قريش	الخليفة النبي ﷺ الأول، قمع الردة، وبذل الفتوح
عمر بن الخطاب	٧ ق هـ	سفير الحرب ومن أشرف قريش وكان المناور والمفاخر بها	الخليفة النبي ﷺ الثاني، في عهده فتحت الشام والعراق
العباس بن عبد المطلب	أعلم من إسلامه	كانت إليه السفارة والعمارة	هداية أبي سفيان
	٨ هـ	وكان رئيساً في قريش ومن أجرادها وكانت إليه عمارة المسجد الحرام والمقامة	المستشار الأمين للنبي وللحلفاء الراشدين

هداية الأوس، ولد دور كبير في توطيد أسس الدولة الإسلامية في المدينة.	سيد الأوس ووزعيمهم	١ ق هـ	سعد بن أبي معاذ
هداية الخزرج، الإنفاق على الدعوة	سيد الخزرج ونقيب بني ساعدة، ومن أعظم أجود العرب	١ ق هـ	سعد بن عبادة
نشر الدعوة في المدينة	من زعماء الأوس	١ ق هـ	أبي سعيد بن حضير
من قادة فتح الشام، استشهد في البرموك	فارس مشهور وزعيم مكة بعد موت أبيه	٩ هـ	عكرمة بن أبي جهل
ساهم في فتح الشام، فتح مصر	من دهاء العرب، وأحسن قرיש منطقاً وحججاً وكلاماً	٧ هـ	عمرو بن العاص
تسييج جيش حنين	كان إليه أمر الأسلام والأيسار ومن إشراف قريش وفصائلها وأكبر تابع سلام في العرب	٩ هـ	صلوان بن أمية الجمحي
حماية مكة من الردة	خطيب قريش وأحد أشرافهم وعقلائهم وسادتهم	٨ هـ	سهيل بن عمرو
كف الحرب يوم فتح مكة، قام بهدم أصنام الطائف	من أشراف قريش وزعيمها المطلق بعد يوم بدر	٨ هـ	أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية
تسييج جيش حنين	٨ هـ سفير قريش في المفاوضات ومن أجود العرب وأغناطهم	٧ هـ	حوبيط بن عبد العزي العامري
انتصارات حروب الردة، فتح الشام	من أشراف قريش وكان إليه القبة وأعنة الخيل وكسوة البيت	٧ هـ	خالد بن الوليد
ساهم في هداية نقيب	شريف الطائف وسيد بني نقيب	٩ هـ	عروة بن مسعود الثقفي
ساهم في فتح العراق	شيخ بني شيبان وصاحب حرفهم	٣ ق هـ	المثنى بن حارثة
ساهم في هداية غيم	من زعماء قيم، ومن حكماء العرب	حول ٧ هـ	أئمـةـ بنـ صـيفـي

## جدول دعاء الصحابة

لا يمكن حصر أسماء الدعاة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في جدول واحد، وذلك لأن كل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا دعاة بوجه من الوجوه وهذا الجدول يبين لك ترجمة نحو ثلاثين أبرز هؤلاء الدعاة الذين خرجوا من مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وسنرى كيف كانت دعوتهم تؤتي ثمارها الطيبة الحكيمية ، وكيف أدوا رسالتهم على أتم وجه .

والأمل كبير أن يجد طالب العلم في سلوك هؤلاء الدعاة قدوة حسنة ، يتمثلوها في دعوتهم وجهادهم .

وقد أثبتنا أعمار من عرفنا عمره منهم ، ليظهر ذلك كيف كان غالبيهم في سن الشباب والفتوة .

الداعي	سنة يوم أسلم	نشاطه في الدعوة
أبو بكر الصديق	سنة ٣٩	هدایة الرعيل الأول من الصحابة
علي بن أبي طالب	٩ سنوات	إسلام هذنان ، وغيرها من القبائل
مصعب بن عمير	سنة ٢٤	إسلام أهل المدينة
عبد الرحمن بن عوف	سنة ٢٢	إسلام أهل دومة الجندل
معاذ بن جبل	سنة ١٧	إسلام أهل اليمن وتعليمهم ودعوة أهل الكتاب فيها إلى الإسلام
عمرو بن أمية الضري		كان السبب في إسلام النجاشي
العلاء بن الحضرمي		إسلام البحرين مع ملكها المنذر بن ساوي وإسلام أهل هجر مع وبها المرزيزان الفارسي
أبو ذر الغفارى		إسلام قبيلة غفار وقبيلة أسلم جيرانهم وإسلام حويط بن

عبد العزى		
إسلام بنى الحارث بن كعب بنجران		خالد بن الوليد
إسلام عشيرته من بنى عبد الأشهل ومن ثم إسلام الأوس جميعاً	٣٢ سنة	سعد بن معاذ
أسلم على يديه خلق كثير من أهل مكة		عمر بن وهب
كان السبب في إسلام بنى تقيف بعد قتله		عروة بن مسعود التقفي
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر، ثم ذهب دمشق وأقام فيها يدعوا إلى الله أربعين سنة.		دحية بن خليفة الكلبي
أقتحم المقوص زعيم مصر بالإسلام ولكنه لم يسلم، وضمن المسلمون بعد ذلك حياد مصر خلال فتوح الشام والعراق بفضل دعوة حاطب		حاطب بن أبي بلتعة
إسلام بن ثعلبة		ضمام بن سعد بن بكر
إسلام بن مرة الجهنمي		عمرو بن مرة الجهنمي
أبو موسى الأشعري		مكث داعياً سنتين عدة في زبيد وعدن من أقاليم اليمن، ومن ثم سكن الكوفة وصار بيته مركزاً لنشر الدعوة
الطفيلي بن عمرو الدوسى		إسلام دوس وفيهم أبو هريرة
زيد بن الحارث الصدائي		إسلام قرمه صداء
أبو أمامة البااهلي		إسلام قرمه بنى باهله
جعفر بن أبي طالب	٢٠ سنة	دعوة النجاشي ونشر الإسلام في الحبشة

## جدول أشبال الصحابة

قصدنا في هذا الجدول تعريف القارئ الكريم أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إنما قامت على أكتاف الشباب، وأن الشباب وحدهم هم الذين يتحملون عبء كل ثورة إصلاحية في التاريخ، وكذلك كان في الإسلام.

بين يديك نحو ثلاثة أسماء من ألمع أسماء الرعيل الأول من الصحابة، يحسبهم الجاهل حين يقرأ أسماءهم رجالاً كباراً من كثرة ما قدموا من عطاء ثم يقلب صفحات حياتهم فإذا هم ناشئة من الفتية، آمنوا بربهم وزادهم هدى.

إن تلك الأعمال العظيمة التي قامت بها هذه الناشئة الظاهرة، لهي أوضح دليل على أثر الإيمان في إعداد الأنس، وأثر المربى الناجح في تربية الأجيال، وهي صورة حية ل التربية النبي صلى الله عليه وسلم العظيمة :

التي جعلت من الأطفال رجالاً .

من الرجال أبطالاً .

ومن الأبطال عمالقة .

أعماله	عمره يوم مات النبي ﷺ	عمره يوم أسلم	الصحابي
اهتدت على يده قبيلة همنان كبرى قبائل اليمن الخليفة الرابع ، باب مدينة العلم وأعلم الصحابة بالقضاء، من أعظم المجاهدين، سماه النبي ﷺ اسد الله الغالب .	٤١ سنة	٩	علي بن أبي طالب
أمره رسول الله من على علة سريليا، وهو من العشرة المبشرة بالجنة، كان عضواً في لجنة الشورى التي اختارت عثمان خليفة المسلمين.	٣٧ سنة	١٥	طلحة بن عبيد الله
من الرعيل الأول، ومن العشرة المبشرين بالجنة حواري رسول الله ﷺ	٣٨ سنة	١٤	الزبير بن العوام
من الرعيل الأول، وصاحب أول دار فتحت للدعوة في الإسلام	٣٥ سنة	٥	الأرقام بن أبي الأرقام
أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمى بهم في سيل الله، قائد القادسية وفتح المدائن أمير الكوفة، كان بحث الدعوة، بلغت مروياته عن النبي ﷺ ٢٧٠ حديثاً .	٣٩	١٧	سعد بن أبي وقاص
أمير المهاجرين في الجبعة، من أعظم الدعاة في الإسلام، استشهد يوم مؤتة وكان أميراً فيها.	مات قبل النبي	٢٠	جعفر بن أبي طالب
من أكبر علماء الصحابة وفقهائهم، كان أقرب الناس إلى النبي من حتى علوه من أهل البيت ، بلغت مروياته عن النبي ﷺ ٨٤٨ حديثاً	٣٧	١٧	عبد الله بن مسعود
كان سبباً في إسلام عمر من الرعيل الأول ومن العشرة المبشرين	٣٥	١٨	سعید بن زید

معاذ بن جبل			
أعلم الصحابة بالحلال والحرام بشهادة النبي من من أبغض الدعاة في الإسلام، كان له دور كبير في إسلام اليمن ونشر العلم في الشام، مات وله من الأحاديث عن رسول الله ﷺ ١٥٧ حديثاً عمره ٣٤ سنة فقط.	٢٧	١٧	
عبد الله بن عمر			
من أعلم الصحابة وألزمهم بهدي النبي ﷺ، كان وصياً على الخلافة بعد موت أبيه، بلغت رواياته عن النبي من ٢٦٣ حديثاً	٢٠ سنة	أسلم طفلاً	
عبد الله بن عمرو			
من أعظم علماء الإسلام، أول من اشتغل بعلم مقارنة الأديان، توفي رسول وعمره ٧٠٠ سنة، بلغت مروياته عن النبي ﷺ حديثاً	١٩ سنة	١٥ سنة	
عبد الله بن عباس			
حبر الأمة وترجمان القرآن، ومن أعظم علماء الصحابة، توفي رسول الله وسته سنين.	١٤ سنة	أسلم طفلاً	
عبد الله بن الزبير			
من علماء الصحابة، بروي بالخلافة ثانية سنتين، توفي رسول الله، وعمره ١١ سنة.	١١ سنة	أسلم طفلاً	
زيد بن ثابت			
كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أوثق علماء الصحابة، أعظم أعماله جمع القرآن الكريم في المصاحف	١٧ سنة	أسلم طفلاً	
أسامة بن زيد			
حب رسول الله وابن حبيبه، كان قائداً لجيش الشام وعمره ١٧ سنة، وفي جيشه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة	١٧	أسلم طفلاً	
عتاب بن أسيد			
استعمله النبي على مكة وعمره ٢٥ عاماً، وكان أميراً للحج في السنة الثانية	٢٧	٢٤	
عمير بن أبي وقاص			
أول شهيد يوم بدر وكان عمره ٦٠ عاماً	مات قبل النبي	٩	
صهيب بن سنان			
سابق الروم إلى الجنة، من أعظم المجاهدين والرماة	٣٤	١٩	
خباب بن الأرت			
من الرعيل الأول السابقين في الإسلام،	٣٢	١٧	

اشتهر بصبره وتحمله الأذى في سبيل الله.			
من الرعيل الأول السابقين في الإسلام. ثبت على الإسلام رغم مقتل أبيه وكان مؤذن رسول الله، وله دور في نشر العلم في الشام. <sup>١</sup>	٤٧	٣٠	بلال بن رياح

(١) هذه الجداول مقتبسة من كتاب "سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، صفة السير" إعداد: محمد الحبيش ، الطبعة السادسة ، دار النور دمشق ، ١٩٩٦م.

## كتب للدراسة حول السيرة النبوية<sup>١</sup>

يجب على طالب علم السيرة النبوية أن يتعرف على هذا العلم وأهميته وأقسامه وفوائده دراسته، كما لا بد له أن يعرف مصادر السيرة النبوية وترتيب هذه المصادر على حسب الأهمية، ودرجة الثبوت، وحسن البسط والإيجاز، وصحة الفكر وسلامة المنهج، وقد ألف الكتاب في هذا الموضوع كتباً مفيدة، تعتبر مدخلاً مهماً للسيرة النبوية وحدودها، منها كتاب : "السيرة النبوية : أهميتها وأقسامها وفوائدها" للدكتور محمد بن صامل السلمي، وله كتاب "مسائل في منهج دراسة السيرة النبوية" وبحث بعنوان "قضايا ومباحث في السيرة النبوية" للدكتور سليمان ابن حمد العودة، وبحث "مدخل لفهم السيرة النبوية" للدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى، ومنها ما يتعلق بالمصادر، مثل كتاب "مصادر السيرة النبوية وتقويمها" للدكتور فاروق حمادة، وفصل ممتع في مقدمة كتاب "السيرة النبوية الصحيحة" للدكتور أكرم ضياء العمري .

وقد جرت الكتابة في السيرة النبوية على ثلاثة أصناف :

- ١ - الكتب المختصرة

---

(١) إعداد: محمد وثيق الندوبي أستاذ كلية اللغة العربية وأدابها بدار العلوم لندوة العلماء

- ٢ الكتب المتوسطة .
- ٣ الكتب الكبار الموسعة .

وعلى طالب العلم والدارس أن يسلك مسلك أهل العلم ، فيبدأ بالجمل والمختصر ، ثم يرتفع درجة إلى المؤلفات المتوسطة ، ثم بعدها الكتب المبوسطة ، ويتنهى إلى التخصص في العلم والتبحر في مسائله ودقائقه .

وفيما يلي جملة من المؤلفات مرتبة حسب مؤلفيها في كل صنف من الأصناف الثلاثة لتسهيل مطالعة السيرة النبوية .

المراحلة الأولى

#### المختصرات في السيرة :

١. جوامع السيرة النبوية ، للإمام علي بن أحمد بن حزم الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ.
٢. الدرر في اختصار المغازي والسير ، للإمام يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي المتوفى ٤٦٣ هـ.
٣. السيرة النبوية ، لعبد الله المؤمن بن خلف الدمياطي المتوفى ٧٠٥ هـ.
٤. الإشارة إلى سيرة المصطفى ، للحافظ مغلطاي بن قلبي المتوفى ٧٦٢ هـ.
٥. الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ.
٦. مختصر السيرة النبوية ، للإمام محمد بن عبد الوهاب المتوفى ١٣٠٦ هـ.

## المرحلة الثانية

## الكتب المتوسطة في السيرة :

١. السيرة النبوية ، محمد بن إسحاق المتوفى ١٥١ هـ ، من تهذيب عبد الملك بن هشام المتوفي ٢١٨ هـ وعليها شرح للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي المتوفى ٥٥١ هـ باسم الروض الأنف في أربعة أجزاء ، كما عمل مصعب بن محمد الجياني الخشنبي المشهور بأبي ذر المتوفى ٦٠٤ هـ حاشية في تفسير غريب ألفاظ السيرة ، وهو مطبوع مفرد ، ومطبوع أيضاً أنها تهذيب ابن هشام ، تحقيق وتخرير د. همام بن سعيد و محمد أبو صعيديك نشر مكتبة المغارب بالأردن.
٢. المغازي النبوية لمحمد بن عمر الواقدي المتوفى ٢٠٧ هـ مطبوعة في ثلاثة مجلدات.
٣. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ خص الترجمة النبوية والمغازي بمجلدين من كتابه.
٤. الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، للإمام سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي المتوفى ٦٣٤ وقد طبعت المغازي النبوية في مجلدين ، بتحقيق د. مصطفى عبد الواحد.
٥. عيون الأثر في ذكر فنون المغازي والشمائل والسير ، للحافظ محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري المتوفى ٧٣٤ هـ ، مطبوع في مجلدين بتحقيق د. محمد عيد الخطراوي ، ومحى الدين مستو ، نشر دار التراث ودار ابن كثير.
٦. قسم المغازي والسير من كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد ،

للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ.

المراحلة الثالثة

### الكتب الكبار المبسوطة:

١. دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفي ٤٥٨هـ مطبوع في سبعة مجلدات.
٢. السيرة النبوية للإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفي ٧٧٤هـ وهي مطبوعة مفردة بتحقيق مصطفى عبد الواحد في أربعة مجلدات، ومطبوعة مع كتاب البداية والنهاية من ص ١٧٩ في المجلد الثالث وحتى ص ٤١٢ في المجلد التاسع من طبعة دار هجر بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.
٣. إمتناع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لتقى الدين أحمد بن علي المقرizi المتوفي ٨٥٤هـ مطبوع في ١٥ مجلداً.
٤. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفي ٩٤٢هـ طبع بدمشق في ١١ مجلداً. هذا وينبغي للطالب أن يهتم بانتقاء الكتاب المناسب له، وأن يحرص على اقتناء الطبعة الموثقة والمصححة، وأن يستشير في ذلك أهل العلم الثقات، وأن تكون قراءته على شيخ يضبط له النص، ويشرح غامضه، ويوضح مبهمه، ويستنبط له بعض فوائده، وخاصة في المرحلتين الأولى والثانية.

### الدراسات المعاصرة في السيرة النبوية:

لاقت السيرة النبوية عناية من الباحثين والدارسين في

العصر الحاضر، وتميزت طائفه من هذه الدراسات بالجودة في الاعتماد على ما صبح من أخبار السيرة النبوية، وأيضاً في العناية بفقه السيرة والدروس وال عبر التربوية المستفادة منها وهذا النوع كثير والله الحمد غير أن التفاوت حاصل بين تلك المؤلفات بحسب قدرات مؤلفيها و تخصصاتهم العلمية، وكما قيل : "كل يؤخذ من قوله ويرد إلا المقصوم صلى الله عليه وسلم " والدراسات المعاصرة في السيرة النبوية بعضها يتصرف بالشموليّة ، وبعضها يفرد حدثاً أو غزوة من الغزوات بالدراسة وذكر العبر والفوائد، ومن الكتب المفيدة في هذا الباب :

١. السيرة النبوية دروس وعبر / الدكتور مصطفى السباعي.
٢. فقه السيرة النبوية / الشیخ محمد الغزالی.
٣. السيرة النبوية الصحيحة / أ.د. أکرم ضیاء العمري.
٤. صحيح السيرة النبوية / الشیخ إبراهیم العلي.
٥. وقوفات تربوية مع السيرة النبوية ، لأحمد فريد.
٦. السيرة النبوية ، دراسة تحليلية / الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.
٧. فقه السرايا / الدكتور محمد بن خلف العيساوي.
٨. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية / الدكتور مهدي رزق الله أَحْمَد .
٩. السيرة النبوية / الشیخ أبو الحسن علي الحسني الندوی.
١٠. من معین السیرة تأليف صالح الشامي.

١١. من معين الشمائل تأليف صالح الشامي.
١٢. القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم / د. عبد الله بن محمد الرشيد.
١٣. منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة / أ. د. محمد أخزون.
١٤. السيرة النبوية / الدكتور علي محمد الصلايبي .
١٥. حياة محمد / الأستاذ محمد حسين هيكل .
١٦. دراسيات في السيرة/الدكتور عماد الدين الخليل .
١٧. الرسول القائد/ محمود شيت خطاب .
١٨. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة/ د. محمد حميد الله
١٩. فقه السيرة / الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .
٢٠. في ظلال السيرة/الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوبي .
٢١. محمد الإنسان الكامل / محمد بن علوى المالكى الحسنى .
٢٢. الرسالة الحمدية/ العالمة سيد سليمان الندوى ، ترجمة الأستاذ محمد ناظم الندوى.
٢٣. سيرة رسول الله ، صفوه السير / محمد الحبش
٢٤. الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم في التعليم / العالمة عبد الفتاح أبوغدة
٢٥. الرحيل المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري.
٢٦. الهجرة حدث غير التاريخ للدكتور شوقي أبو خليل.

٢٧. صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم / أمين دويدار.
٢٨. السيرة النبوية والأثار المحمدية / أحمد زيني دحلان.
٢٩. محمد المثل الكامل / محمد أحمد جاد المولى .
٣٠. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم / الشيخ محمد رشيد رضا
٣١. محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير كتابه / الأستاذ محمد فهمي عبد الوهاب .
٣٢. التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي / ناصر محمدى محمد جاد.
٣٣. تأملات في سيرة الرسول ﷺ / الدكتور محمد سيد الوكيل.
٣٤. دراسات في عهد النبوة / الدكتور عبد الرحمن الشجاع.
٣٥. دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ / الدكتور محمد قلعجي .
٣٦. الرسول المبلغ / الدكتور صلاح عبد الفتاح الحالدي .
٣٧. فقه السيرة النبوية / منير الغضبان .
٣٨. محمد رسول الله ﷺ / محمد الصادق عرجون .
٣٩. نظارات في السيرة / الإمام حسن البنا .
٤٠. الهجرة النبوية المباركة / الدكتور عبد الرحمن البر.
٤١. هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب / أبو بكر الجزائري .
٤٢. وقفات تربوية من السيرة النبوية / عبد الحميد البلالي .
٤٣. الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة / الحسيني الحسيني معدى
٤٤. محمد صلى الله عليه وسلم أعظم الخالدين / أنيس منصور .
٤٥. المستشركون والسيرة النبوية / الدكتور عماد الدين خليل.

٤٦. نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشرافي  
المعاصر / الدكتور خضر شايب .
٤٧. الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم / مايكل هارت ، ترجمة أنيس منصور .
٤٨. دراسات في السيرة / حسين مونس .
٤٩. السيرة الحمدية / محمد فريد الوجدي .
٥٠. السيرة النبوية العطرة / أحمد شلبي .
٥١. حياة الرسول صلى الله عليه وسلم / محمود شلبي .
٥٢. قبسات من الرسول صلى الله عليه وسلم / محمد قطب إبراهيم .
٥٣. محمد رسول نبأ / عبد الرزاق نوفل .
٥٤. سيدنا محمد ﷺ أعظم الخلق / فوزي إبراهيم .
٥٥. رحمة للعالمين / الدكتور عايض القرني .
٥٦. القدوة في السيرة النبوية / الدكتور أحمد رجب الأسمري .
٥٧. الرسول والعلم / العلامة يوسف القرضاوي .
٥٨. محمد، الموسوعة الميسرة في التعريف ببني الرحمة / تحرير: خالد السيد روشه، ود/ محمد بن عبد الله الدويش، إشراف: الأستاذ الدكتور عادل بن علي الشدي، والدكتور أحمد بن عثمان المزيد .
٥٩. هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم / إبراهيم أبو شادي .
٦٠. مع المصطفى صلى الله عليه وسلم / سلمان بن فهد العودة .

٦١. محمد صلى الله عليه وسلم سيد رجال التاريخ / الشيخ علي الطنطاوي .
٦٢. عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم / عباس محمود العقاد .
٦٣. الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أ.د/ راغب الحنفي السرجاني .
٦٤. مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم / أ.د/ زيد عمر عبد الله العيسى .
٦٥. هل كان محمد صلى الله عليه وسلم رحيمًا؟ / محمد حسام الدين الخطيب .
٦٦. ماذا يقول الغرب عن محمد؟ / أحمد ديدات .
٦٧. محمد في الآداب العالمية المنصفة / محمد عثمان عثمان .
٦٨. الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة / محمد سعيد الشيافي .
٦٩. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة / د/ محمد أبو شهبة .
٧٠. وامحمداء/ د. سيد بن حسين العفانى .
- وهنالك دراسات في موضوعات مفردة من السيرة النبوية مثل المغازي النبوية والسرايا وهي كثيرة ومفيدة، وأكثرها رسائل علمية توفر لها الإشراف والمراجعة والمناقشة والتصحيح.

# الفهرس

٥	بين يدي الكتاب
٨	مقدمة الكتاب
١٩	<b>القسم الأول</b>
٢٠	نبذة عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم
٤٧	<b>القسم الثاني</b>
٤٨	مولد الرسول صلى الله عليه وسلم هو مولد الإنسانية
٥٧	أُسوة كاملة خالدة للإنسانية
٦٤	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
٧٧	نبي الرحمة والإحسان
٨٧	محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الهدى والعلم
١٠٣	جوانب الرحمة والعفو في السيرة النبوية وأهمية عرضها بأسلوب علمي معاصر

١١٩	<b>القسم الثالث</b>
١٢٠	<b>النماذج البشرية في الحديث النبوي الشريف</b>
١٣٥	الرحلة الحجازية ومناهج المؤلفين فيها في العصر الحديث
١٦٠	دور المائحة النبوية في الاحتفاظ بالارتباط بذات الرسول صلى الله عليه وسلم
١٦٩	<b>القسم الرابع</b>
١٧٠	مؤامرة غريبة لقطع صلة المسلمين بذات الرسول صلى الله عليه وسلم
١٧٧	محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيون بعض المنصفين من علماء الغرب وأدبائه
١٩٣	<b>القسم الخامس</b>
١٩٤	يوميات السيرة النبوية
٢٠٥	جدول أعيان العرب
٢٠٧	جدول دعاء الصحابة
٢٠٩	جدول أشبال الصحابة
٢١٣	كتب للدراسة حول السيرة النبوية

